جامعة النجاح الوطنيـــة
كلــيـــة الدراسات العليا

جملة الخاتمة في الآيات الكونية و الإنسانية
دراسة أسلوبية

إعداد
نور هاني محمد سمحان

إشراف
الأستاذ الدكتور يحيى عبد الرؤوف جبر

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربيـــة وآدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.

2009 م

جملة الخاتمة في الآيات الكونية و الإنسانية
دراسة أسلوبية

إعداد

نور هاني محمد سمحان

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2009\7\26 وأجيزت :

أعضاء اللجنة		التوقيع
1. أ.د. يحيى جبر	(مشرفًا ورئيساً)	....
2. أ.د. وائل أبو صالح	(ممتحنًا داخليًا)	....
3. أ. د. حسن السلوادي	(ممتحنًا خارجيًا)	....

الإهـــــــــــــداء

يُهدى لِمن كَتب الكَريمُ بِبرِّهم

فأنا قتيلُ هَواهُـــــمُ وَ غَرِيـــــــــقُ

أمِّـــــــــي و أحـــــشاءٌ نَزفنَ لِراحَـــــتي

ولمن أنامُ بـــــحجرهـــــا و أفيـــــقُ

و أبي الذي هَـصَرَ الزَّمانُ ضُلوعَـــــهُ

كي لا يَرانا دونَــــــهُ مَـــــخلوقُ

و بَــَنى لنــا مــــن لَحمِـــــهِ بَـــيتاً لَنــا

فَـــضــلٌ عَـــتيقٌ و الوَفاءُ عَـــتيقٌ

هـــل غـــيرهُ بالودِّ كـــانَ حَـــريّاً

أو غـــير أمِّـــيَ بالوفاءِ خَـــليـــقُ

شكر وعرفان

تخذلني الحروف في هذا المقام، ولايسعفني القلم ولا اللسان، تظلع أبجديتي خلف ركب أولئك الذين بذلوا جلّ طاقاتهم في إنجازهذا البحث بالصورة اللائقة، والآن وقد ارتعشت الحروف، لا يسعني سوى أن أتقدم بعظيم شكري، وفائق امتناني للأستاذ الدكتــور يحيى جبر الذي أنفق وقته في مساعدتي والإشراف على بحثي، كماأتقدم بجزيل الشكر للأستاذة عالية ياسين التي كانت لي خير ناصح ومعين .

من عمق الفؤاد ومن صميم الجنان أشكركم .

وجزاكم الله عني كل خير

الإقــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

جملة الخاتمة في الآيات الكونية و الإنسانية
دراسة أسلوبية

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة علمية أو بحث علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name: **اسم الطالب:**

Signature: **التوقيع:**

Date: **التاريخ:**

فهرس المحتويات

جملة الخاتمة في الآيات الكونية و الإنسانية

دراسة أسلوبية

إعداد

نور هاني محمد سمحان

إشراف

الأستاذ الدكتور يحيى عبد الرؤوف جبر

الملخص

يعد هذا البحث دراسة أسلوبية لجملة الخاتمة في الآيات الكونية والإنسانية، فهو يقوم على تمهيد وأربعة فصول، وقد عالجت فيها الباحثة هذه الجمل من الجوانب اللغوية كافّة، فعلى المستوى الدلالي قدمت الباحثة دراسة دلالية لجملة الخاتمة، في محاولة لتلمس العلاقة بين دلالة هذه الجمل- بما تشتمل عليه من ألفاظ وتراكيب- والمعنى العام للآيات، إضافة إلى دراسة هذه الجمل نحويًا من خلال عرض أهم أنماطها وأشكالها، وتوضيح أبرز الصور التي

جاءت وفقها مشفوعة ببعض الشرح والتعليق .

وفيما يتصل بالجانب البلاغي فقد عرضت فيه الباحثة للمبنى البلاغي لهذه الجمل، ثم عالجت بعد ذلك أهم الظواهر الأسلوبية الواردة في جملة الخاتمة، في محاولة للكشف عن أبرز المعاني البلاغية لها، وأخيرًا قدمت الدراسة تحليلًا صوتيًا لجملة الخاتمة، بما فيها من ألفاظ وتراكيب، وذلك من خلال دراسة المقاطع الصوتية، لتلمس الصلة بينها وبين المعنى،

إضافة إلى دراسة الفاصلة في خواتيم هذه الآيات، لإبراز الجرس الخفي لها، وذلك من خلال

عرض لأهم أنواعها، وتناولت الدراسة الصوتية أيضًا بعض الحروف المتكررة في جملة

الخاتمة، موضحة مدى تناغمها مع المعنى .

المقدمة

الحمد لله الرحيم الرحمن، علّم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان، أول مخلوقاته القلم، خلقه وقال له: إجرِ، فجرى بما هو كائن إلى يوم الدين، وأقسم بالقلم فقال:" ن وَالقَلَمِ وَمَا يَسطُرُون"[1]، ووصف سعة علمه بالقلم، فقال "ولَوأنَّما في الأَرضِ من شَجَرَةٍ أَقلَام وَالبَحرُ يَمُدُّهُ من بَعدِهِ سَبعَةُ أبحرٍ مَا نَفِدَت كَلِمَاتُ الله"[2]، والصلاة والسلام على أفصح العرب، مَلكِ البيان، محمد بن عبد الله الذي علّمه ربه ولم يخطّ بقلم فقال:" وَمَا كنتَ تَتلُو مِن قَبلِهِ من كِتَابٍ ولا تَخُطُّه بيَمِينِك إذًا لارتَابَ المُبطِلُون"[3]، وعلى آله المنتجبين الفصحاء الأطهار وصحبه المنتخبين البلغاء الأخيار، وبعد:

بادىء الأمرلا بدّ من الإشارة إلى أن دافع الباحثة هو حبها للعربية، لغة الوحي والتنزيل، ولغة نبينا العربي، ولغة أهل الجنة، وما اختيارها للقرآن الكريم مضموناً لهذه الرسالة المتواضعة والجهد اليسير، إلا بغية إظهار جمال العربية في أرقى عليائها، وأحكم بنيانها وأبلغ بيانها، في الكتاب الذي أحكمت أياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير.

وما اختيار جملة الخاتمة في الآيات الكونية والإنسانية موضوعًا للبحث، إلا لقلــة تعــرض الباحثين لها، فقد تناولت المؤلفات الجملة في القرآن الكريم ــ في الأعمّ الاغلب ــ بشكل عــامّ، ومن هذه المؤلفات:كتاب الجملة الوظيفية في القرآن الكريم ــ رابح بو معزة، إلا أن هذا الكتاب عرض لأنماط الجملة في القرآن الكريم بشكل عامّ، مشفوعة بشرح بسيط يحوي تركيــب هــذه الجمل والبنية العميقة لها، إضافة إلى ما ورد في بعض رسائل الماجستير التي كانــت الســور القرآنية موضوعًا لها، وهذا ما دفع الباحثة إلى تقديم هذا البحث، حيث لم تجــد بحثًــا مســتقلًا منفردًا تناول جملة الخاتمة في الآيات الكونية والإنسانية وعالجها من الجوانب اللغوية كافة.

ولعل أبرز مشكلات البحث حذر الباحثة من الاجتهاد في تأويل جملة الخاتمة وتحليلهــا، لأن آيات الله لا يعلم مرادهاعلى كماله، ولا يحيط بتأويلها على تمامه إلا الله العليم الخبيــر"،

---

1. سورة القلم : الآية : 1.
2. سورة العنكبوت: الآية : 48
3. سورة لقمان: الآية :27

وكذلك محدودية الموضوع وحصره في جملة الخاتمة أي في بضع كلمات، حيث كانت المساحة التي تتحرك فيها الباحثة ضيقة بعض الشيء.

وكل ما أتمناه أن أكون قد وفقت في تقديم كل ما هو ناجع ومفيد، راجية من الله أن يغفر لي جرأتي، ومؤسية نفسي بأن أبوء بإحدى الحسنيين : أجر المخطيء أو أجريْ المصيب ، والله المؤمّل من وراء القصد أولًا وآخرًا ، والحمد لله رب العالمين .

الدراسات السابقة:

لا تنكر الباحثة وجود بعض الدراسات التي تناولت الإعجاز البياني في الآيات الكونية أو الإنسانية ، إلا أن أيًا من هذه الدراسات لم يتعرض لجملة الخاتمة في هذه الآيات، حيث كان التركيز فيها منصبًّا على صدر الآية، ومنها الإعجاز البياني للآيات الكونية في القرآن الكريم(رسالة ماجستير) ــ خالد بن عميور، الآيات الكونية منهج من مناهج الدعوة الإسلامية(رسالة دكتوراه) ــ فتح الرحمن محمد خير، إضافة إلى ما جاء في بعض كتب التفسير من شذرات بيانية تعلقت ببعض الآيات الكونية أو الإنسانية بشكل عامّ، دون تخصيص جملة الخاتمة بذلك، إلا أنه لم يفرد لجملة الخاتمة في هذه الآيات بحث مستقل منفرد، يعنى بدراسة هذه الآيات من الوانب اللغوية كافة، وهذا ما دفع الباحثة لتقديم هذا البحث.

منهج البحث :

ستتبع الباحثة المنهج الوصفي التحليلي في دراستها، لتقدم وصفًا دقيقًا للجمل بأنواعها، ثم تعرض تحليلًا دلاليًا ونحويًا وأسلوبيًا وصوتيًا لخواتيم الآيات الكونية والإنسانية.

محتوى البحث والفصول:

يقوم هذا البحث على تمهيد وأربعة فصول وخاتمة:

التمهيد: وفيه تناولت الباحثة إعجاز القرآن الكريم، ودوره في خدمة العلوم،حيث عرضت لأهم المظاهر الكونية والإنسانية في القرآن، وعلاقتها بفلسفة الحواس، ذلك أن هذه المظاهر تدعو الإنسان للتفكر والتبصر، وذلك من خلال حواسّه، إضافة إلى تقديم دراسة للآيات الكونية و الإنسانية، وعرض لأهم مضامينها في جملة الصدر، وجملة الخاتمة في محاولة للربط بين هذه المضامين.

الفصل الأول : معجم الآيات الكونية والإنسانية مرتباً حسب السور القرآنية ، وهذه الآيات تتعلق بمظاهر قدرة الله في خلق الكون وخلق الإنسان .

و في الفصل الثاني تناولت الباحثة جملة الخاتمة في هذه الآيات، و ذلك من خلال دراستها دلاليًا، حيث عرضت للتناسب بين المعنى في جملة الخاتمة، والمعنى العام للآية، إضافة إلى أنها تناولت دلالة الاسم والفعل في الخاتمة، ودلالة بعض الأوزان المتكررة فيها، وصلة ذلك كله بالمعنى.

أما الفصل الثالث فقد تناول مبنى جملة الخاتمة في الآيات الكونية والإنسانية، وبالتالي جاء مشتملًا على مبحثين: المبنى النحوي لهذه الجمل، ويتضمن الحديث عن الجملة فعلية كانت أم اسمية، لا سيما تلك المنسوخة بحرف، وذلك من خلال عرض أهم الأنماط التي جاءت وفقها الجملة في الخاتمة،حيث كانت هذه الأنماط مشفوعة ببعض الشرح والتفصيل، أمّا

المبحث الثاني: فقد عالج المبنى البلاغي لهذه الجمل، إنشائية كانت أم خبرية، وعرض لأهم الأساليب البلاغية التي تتضمنها، إضافة إلى توضيح أبرز الظواهر الأسلوبية في جملة الخاتمة.

وجاء الفصل الرابع متممًا للبحث، فقد عرض لأهم الجوانب الصوتية في هذه الجمل من خلال دراسة المقاطع الصوتية فيها، وما يترتب عليها من دلالات، والحديث عن فاصلة هذه الجمل، ومدى تناسبها صوتيًا مع مضمون الآيات، مع التركيز على دلالة بعض الحروف في جملة الخاتمة، ومدى تناسقها صوتيًا مع المعنى.

وجاءت الخاتمة لتكلل هذا البحث، فقد اشتملت على أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة .

ثم أردفت ذلك بمجموعة من المصادر والمراجع التي أفادت منها في هذا البحث، مستعينة بما فيها من مادة تخدم بحثها، وتدعم أفكارها المقدمة، وأهم هذه المؤلفات كتب التفاسير، و كتب النحو والبلاغة، ومؤلفات علم الأصوات .

التمهيد

* تقديم .

* الآيات الكونية و الإنسانية .

* الموضوعات التي كانت محور الآيات الكونية .

* الموضوعات التي كانت محور الآيات الإنسانية .

* مضامين جملة الخاتمة في الآيات الكونية والإنسانية .

يعد القرآن الكريم منبع العلوم ومصدرها، ومَعين المعارف ومواردها، فهو أساس كل علـــم، وأصل كل فن، ووحي الله الخالد، ونوره المبين الذي لا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي غرائبـــه، ولا يخلُق من كثرة الرد، ما ولج عبابَه الزاخرَ باحثٌ إلا غرف من نوادر لآلئه وعجائب فرائده، ومـــا أرجع فيه ناقد البصر إلا ارتد إليه بصره خاسئاً وهو حسير، كيف لا وهو الكتاب الذي أحكم مـــن لدن حكيم خبير، وفصل من لدن سميع بصير، يقول السيوطي:" فإن العلم بحر زخار، لا يدرك له من قرار، وطود شامخ ، لا يسلك إلى قننه ولا يصار، وإن كتابنا القـــرآن لهـــو مفجـــر العلـــوم ومنبعها، ودائرة شمسها ومطلعها، أودع فيه سبحانه علم كل شيء، فترى كل ذي فن منه يســـتمدّ، وعليه يعتمد." [1]

ولا غرو أن يكون القرآن الكريم نبعا أصيلا نستقي منه علومنا، ونستلهم منه معارفنا ، فهـــو كتاب الله المعجز الذي تحدّى به العالم أجمع، فرادى ومجتمعين ، إنساً وجناً ، صالح لكل زمـــان، كلما قرأته اكتشفت شيئا، وكلما أنعمت النظر فيه حملك إلى عالم آخر بعيد كل البعد عن عالمـــك، فلو تلوت آية من آيات الله في لحظة صفاء وأعدتها طيلة ليلتك لتبدت لـــك فيهـــا معـــان جديـــدة، ولانقدح أوار الفكرعن فهم جديد لم يخطر لك ببال قط، وليس أدل على ذلك من هـــذا المـــوروث الضخم في مكتبة التفسير عبر العصور، وهذا الكم الهائل من الأبحاث والدراسات مـــن مختلـــف العقول من غير أن يتخاطر أو يتعارض الفهم بينهم، وعلى سعة هذا الموروث فإنه ما مـــن بشـــر أحاط بمراد الله في آياته علمًا إلا بما شاء، ولا عالمٍ يعلم تأويله على وجه التحقيق، إلا يوم يـــأتي تأويله على رؤوس الأشهاد، (وما يعلم تأويله الا الله) [2]

وجرّاء مداومتي على قراءة القرآن الكريم استرعى انتباهي كثـــرة الآيـــات الكونيـــة، وتعدد الأساليب التي انتظمتها، فهي تشغل مساحة واسعةمن كتاب الله عز وجل، وتتخلل ســـور القرآن حتى لا تكاد تخلو سورة من سوره منها، أو من أحد أشكالها و صورها، وتنوعت ألوانها و هيئاتها، مما يدلّ على أن لهذه الآيات أهمية لا تضاهى، فهي لم ترد في كتـــاب الله جزافًـــا – حاشى لله – بل حملت في طياتها حكمة بالغة وهدفًا جليلًا ساميًا، وما كثرتها وتعدد السياقات التي وردت فيها سوى دليل واضح على مكانتها الرفيعة و الغاية الكامنة وراءها .

---

1. السيوطي،جلال الدين: **الإتقان في علوم القرآن**، المكتبة الثقافية بيروت، 1973، ج1،ص2 .

2.سورة آل عمران : الآية : 7 .

وليس من عاقل يغفل مكانة هذه الآيات و أهميتها في القرآن الكريم، فهي تستحث العقل على التفكـــروالتدبر، وتستقطب انتباه الحواس لتأمل مظاهر قدرة الله في الكون وعجائب صنعه، ممّا يولد لدى الإنسان يقيناً بحتمية وجود خالق عظيم، خلق فأبدع، ونظّم فأمتع ،وصنع فأجاد، ومن هنا كان علينا أن نقف عند هذه الآيات وقفة المتأني، وأن نمعن في حروفها إمعـــان المـــتفحص الذي يولي اهتمامًا كبيرًا لدقائق الأمور، لا أن نمرّ عليها مرورًا سريعًا دون أن نلتفت إلـــى مـــا فيها من مغزى عميق .

وعلى الرغم من أن الله تعالى طلب منا أن نتأمل هذا الكون، ونتفكر في كل ما انطوى عليه من مظاهر (قل سيروا ، قل انظروا ، أفلا تعقلون ، تتفكـــرون، توقنـــون ..... .) فأنـــه سبحانه زوّدنا بمفاتيح تعيننا على ولوج هذا العالم التأملي، فوهبنا العقل الذي يعـــدّ أهـــمّ هـــذه المفاتيح، ومنحنا حواسّ إن استخدمت بطريقة صحيحة، كانت لنا خير معين، ولا شك في وجود علاقة وثيقة بين الحواس وعملية التفكر، فليست الحواس سوى مداخل لعـــالم التفكـــر، نصـــل بوساطتها إلى الخالق عز وجلّ ،" فالغاية من السمع والبصـــر، إدراك الأعـــراض الخارجيـــة، والشاهدات الحسية، فتكتمل معرفة الإنسان بما يدور حوله." [1] .

ولأن الكون ـــ بما أودع الله فيه من مخلوقات وذرأ فيه من دواب و كائنات وأبدع فيه من موجودات ـــ هو كتاب الله المنظور، المرئي لكل الناس، والمفتوح لكل ناظر متمعن معتبر، أنّى التفتّ فيه إلى مشهد جميل نظرت إلى صفحة من هذا الكتاب، وأنى وقعـــت عينـــك علـــى منظر صاف بديع، فإنما وقعت على صفحة أخرى منه، وكذلك القرآن الكريم فهـــو كتـــاب الله المسطور المحفوظ بين دفتي المصحف ، ولأن خالق الكون المنظور ومنزل الكتاب المسطورهو الله، ولأن من أُنزل عليه الكتاب وسخر الكون لخدمته هو الإنسان، فإننا نجـــد هـــذه المســـاحة المشتركة الواسعة بينهما في شكل الآيات الكونية ،" فالجانب الكوني في آيات القرآن الحكـــيم، جانب مهم جدًا، لأنه عماد الدلائل الإلهية على وجود الله تعالى، وتوحيده وباهر قدرته، وواســـع علمه". [2]

---

1. كشّاش، محمد:" **اللغة والحواس**". ط1. صيدا ـــ بيروت،المكتبة العصرية،2001،ص30.
2. عرجون، محمد الصادق : **القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين**، دار الاتحاد العربي للطباعة، 1996م، ص 742 .

ولأن الحواس جسر يصل بين كلام الله المُنزَل وعقل المتلقي، كان لا بدّ من التطرق إلى موضوعها أثناء الحديث عن عملية التفكر، و هذا ما نجده في جمل الخواتيم في الآيات الكونية والإنسانية، فالله تعالى لم يطلب منّا التفكر في الكون بما فيه دون أن يحدد لنا الوسائل الفيلة بهذه المهمة، فكانت الحواسّ وسيلة للهداية، وذلك إذا استخدمها الإنسان استخدامًا سليمًا، فكانت حجة له لاعليه، إذ إن سوء استخدام هذه الحواس، يقود المرء إلى الهلاك، فتعمى عيناه عمّا في الكون من دلائل على قدرة الله، و تصمّ أذناه عن صوت الحق، فيعرض أيما إعراض، و يضلّ طريقه، وهذا ما أشارت إليه خواتيم جل الآيات الكونية و الإنسانية .

ولا بد من الإشارة إلى أن حواسّ الإنسان الخمس تتناسب مع العالم الخارجي، الذي يعدّ إنسانًا كبيرًا، فحاسة اللمس تتناسب مع طبيعة الأرض، وحاسة الشم تتناسب مع رائحة الهواء، وحاسة الذوق تتناسب مع طعم الماء، وحاسة البصر تتلاءم مع طبيعة النار والنور، وحاسة السمع تتلاءم مع الفلك ، ذلك أن حاسة السمع ومحسوساتها كلها روحانية. [1]

وممّا لا شك فيه أن للعقل دورًا بارزًا في عملية التفكر، لذلك نجد له حضوراً متألقًا في معظم الآيات الكونية، لأن: " القرآن الحكيم ــ دستور الإسلام ــ يوجه العقل الإنساني بكل ما منحه الله من قوة وجبروت إلى النظر في ملكوت الله ليكشف حقائق الكون، ويرفع الحجب عن أسراره، و كلما عظم شأن الكون عظم في نظر المؤمنين جلال المكون الخلاق العظيم ".[2]

وفي حضرة هذا الكتاب العظيم لا يسعنا إلا أن نغوص في مكنوناته التي تشف عن علوم شتى، ومعارف لا حصر لها، تتجدد لكل باحث في كل زمان ومكان، فهي لا تنضب ولا تفنى، و تتناسب مع العصور كلّها .

---

1. ينظر : إخوان الصفا: **رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء** . بيروت : دار صادر ، د.ت ،مج 3 ص124 ص125.
2 . عرجون، محمد : **القرآن العظيم هدايته و إعجازه،** ص 275 .

الآيات الكونية و الإنسانية :

تتناول هذه الآيات الجانب الكوني والإنساني، وتعرض فيهما مظاهر قدرة الله تعالى في خلق الكون وخلق الإنسان، فالآيات الكونية تصوّر لنا عظمة الله في تشكيل هذا الكون بما فيه من جبال وأنهار وسهول وتلال وبحار وينابيع، إضافة إلى ما فيه من ظواهر كونية تتعلق بحركة الكواكب وتعاقب الليل والنهار، ونزول المطر وتكوّر الأرض ورفع السماء بغير عمد، أما الآيات الإنسانية فتناولت عظمة الله خالقًا و مكوّنًا ومبدعًا، وذلك من خلال طرح الجانب الخَلْقي للإنسان وكيفية تكوينه و تكامل وظيفة أعضائه، وكل ذلك يُظهر لنا بجلاء ووضوح وحدانية هذا الخالق البديع، و تفرّده بالعظمة واستئثاره بالكمال .

وأهمّ ما نلحظه في الآيات الكونية والإنسانية تكرار موضوعات بعينها، وهذا لا يعني أن الظواهر الكونية الدالة على قدرة الله ـ جلّ شأنه وعلا ـ محدودة، ولا أن الكون الصغير ـ الذي هو الإنسان ـ لا يحوي سوى جوانب إعجازية لا يتجاوز عددها أصابع اليد الواحدة ، بل يقودنا إلى أن هذه الظواهر التي تكررت في الآيات، سواء الكونية منها أم الإنسانية تحتاج منا إلى تفكر تفاصيلها وتأملها، و التعمق أكثر في كينونتها، و ربما يكون السبب في سلبيتنا تجاهها أننا نعدّها أحداثا عادية بحكم الألفة، مما يجعل كثيرًا منّا لا يلتفت إليها في معظم الأحايين، فالإنسان اعتاد السماء سقفا له، لكنه لم يسأل يومًا، وربما لم يخطر بباله أن يسأل عن كيفية بقائها ثابتة مكانها دون عمد يسندها، ولم تعلق يوما بذهنه فكرة أن السماء قد تقع فوق رؤوس البشر مثلًا، وكم مرة شاهد الواحد منّا شروق الشمس و لفته غروبها، لكنه لم يسائل نفسه مرة عن كيفية حدوث ذلك، والمطر نراه فتعبق صدورنا برائحته، لكننا في لحظة صفاء لم يتبادر إلى أذهاننا أن هذا المطر شيء معجز وظاهرة تستحق منّا أكثر من لحظة متعة .

ومن هنا كان لا بدّ من استقطاب انتباه الإنسان إلى عجائب الله في الكون ، لينظر ويتفكر ويسير في الأرض، و يجول و يصول في ميادين هذا العالم البديع الصنع، و يستشعر عظمة الله في كل ما يراه من حوله، و يقرأ سطور هذا الكون لتكون عبرة له، فتوقظه من همود ه و جموده، وتقوده ببصيرة إلى الله تعالى الخالق المكوّن، الذي أحسن كل شيء خلقه، وأتقن كل ما صنعه، ممّا يجعل المتبصّر الواعي يقف أمام هذا الكون دهشًا ومسبحًا في آن ، وكل ذلك يشكل لدى المرء يقينًا بعبثية تلك الآراء والدعوات التي ترى أن الطبيعة أوجدت نفسها بنفسها،وأن هذا الكون ما كان ليقوم لولا مجموعة من الظروف الطبيعية التي تضافرت معًا .

الموضوعات التي كانت محور الآيات الكونية و تكررت بشكل لافت :

1. تعاقب الليل والنهار .
2. خلق السماوات والأرض .
3. إنزال المطر وإحياء الأرض بعد موتها .
4. مدّ الأرض وتسخير كل ما فيها لخدمة البشر .
5. تصريف الرياح .

وربما كان الهدف من وراء تكرار مثل هذه الظواهر الحضّ على تدبّر هذا الكون الذي لا يختلّ فيه النظام ، ممّا يشكل لدى المرء وازعاً يدفعه إلى تعميق إحساسه بكل ما يراه حوله و يشاهده، و بذلك يتجدد الحس الهامد، و يتوقد العقل البارد، و يتفتح الوجدان على الأسرار المدثورة و المشاهد المنثورة في تضاعيف هذا الكون، فنرقب مشاهده الباهرة، ويخفق القلب لما فيها من روعة وجمال، ويوقن العقل أن اليد التي صنعت كل ذلك يد عظيمة جليلة .

1. تعاقب الليل والنهار :

التعاقب لغة : التداول ، وكذلك الاعتقاب، ، و هما يتعاقبان و يعتقبان إذا جاء هذا ذهب هذا، والليل والنهار عقيبان ، كل واحد منهما عقيب صاحبه"[1]، و تعاقب الليل والنهار يعني انتفاء الديمومة عن أحدهما ، فلو كان الليل سرمداً أو النهار سرمداً لفسدت الحياة وتعطلت موازينها ، فالإنسان بحاجة إلى وقت للراحة كما هو بحاجة إلى وقت للعمل، يقول الشعراوي : " فأنت أيها المتحرك في الكون ينطبق عليك ما ينطبق على كل متحرك، لا بد لك من سكون بقدر حركتك، ولذلك، انقسم الزمان على ليل تسكن فيه، و نهار تتحرك فيه "[2]

إن كثرة اختلاف الليل والنهار،وتعاقب الحدثين، وتدوال الأزمان، وغيرها من معهودات المشاهد ومألوفات المنازل ومكنونات الطبائع، أورثت الإنسان تبلدًا في الحس، وجمودًا في

---

1. ابن منظور : **لسان العرب**، بيروت : دار لسان العرب ، إعداد وتصنيف : يوسف الخياط . د.ط د. ت مادة (عقب).
2. الشعراوي ، محمد متولي : **تفسير الشعراوي** ، مطابع أخبار اليوم التجارية . د. ت. ج1 ص687 .

الشعور، صرفاه عن حسن التدبر والتفكر في ما وراء طبائع هذه الأحداث المألوفة، و المشاهد المعهودة ، وصدق الله القائل " وَكَم مِنْ آيَةً فِيْ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّوْنَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُوْنَ" [1]، لذلك وجهنا الكتاب الكريم في كثير من آياته إلى التخلص من بلادة الألفة و تعاهد الزمان والمكان بقراءة قصص الأقوام السابقة والأمم الغابرة، وحثّنا كذلك على تغيير المكان وتبديل الإحداثيات في آيات كثيرة من كتابه الكريم، (قل سيروا ، قل انظروا ، ألم يسيروا ..) وذلك في استثارة للحس وتحريك للشعور، ورحم الله أبا العتاهية القائل (من المتقارب) : [2]

فواعجبًا كيف يُعصى الإله	أم كيف يجـــحده الجاحد
و لله في كل تحريكــــــــة	و في كل تسكينة شاهـــد
وفي كل شـــيء له آيــــة	تـــدل على أنـــه الواحد

2. خلق السموات والأرض :

السماء سقف يظللنا، قائم في الهواء بلا عمد يسنده، و لا دعائم تثبته، خلقها الله تعالى وجعلها مرتفعة عن الأرض، فهناك قوة غير مرئية بالنسبة لنا تمسك هذه السماء وتمنعها من السقوط، يقول تعالى" الله الذي رفع السماء بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش" [3] .

والفعل رفع بحد ذاته يدلّ على هيئة السماء وشكلها، ذلك أن ما يُرفــع مـــن الطبيعـــي والمنطقي أن يكون شيئًا ممتداً فوقك إما أفقياً وإما عموديًا، تفصلك عنه مسافة تسمح لك برؤيته وبالضرورة تكون هذه المسافة مدى ارتفاعه عنك، و هو ما يسمى في الرياضيات بالارتفاع، و هذا الارتفاع بالنسبة للسماء يكون العمد الذي من المفروض أن يشكل داعمًا لها كي لا تتهـــاوى فوق رؤوس البشر، لكن قدرة الله تعالى تتجلى هنا في هذا الارتفاع، والسماء معادل طبيعـــي للأرض، تمتد امتدادها، و تتسع اتساعها، وليس موضوع حديثنا ماهية السماء

1. سورة يوسف : الآية : 105 .
2 أبو العتاهية ، **الديوان**. دار صادر، دار بيروت للطباعة والنشر. 1384هـ ــ 1964م.ص 122.
3. سورة الرعد : الآية : 2 .

وعدد طبقاتها وكيفية خلقها ومن يسكنها، وما إلى ذلك من الجوانب التي تتعلق معظمها بالأمور العلمية البحتة، لا سيما أن هناك عددًا لا يستهان به من المؤلفات التي تناولت هذه الجوانب بشكل مستفيض وتفسير رحراح، وجل ما يهمنا هنا أن السماء بشكلها الحالي كما هي عليه الآن، تشكل معجزة تناولتها الآيات الكونية بكثير من الشرح والتكرار، وذلك لأننا لم نعد ندقق فـــي إعجـــاز خلقها، فهي من عجائب خلق الله، في انتصابها مكانها، واستقرارها، وهــذا بحــد ذاتــه لافــت عجيب، حتى لو لم يعرف المرء الجوانب الأخرى المتعلقة بالسماء .

أما الأرض تلك الذرة السابحة في فضاء الله، العائمة في ملكوته، ضمن مسارات لا ينبغي لها تجاوزها هي وبقية الأجرام السماوية، فالله تعالى قدر لها حركتها، كما قدر لبقيــة الأفــلاك مسارها، فكل سابح في فلكه، و كل يسير وفق نظام مقدر، و ديناميكية محددة، يقول تعــالى: "لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون " [1]

إذا هذا الكوكب العظيم الذي يعيش عليه ملايين البشر، ليس سوى نقطة تائهة في ســعة فضاء الخالق عز وجلّ، وليس استعظامنا لها سوى دليل جليّ على ضآلتنا، فالإنسان مهما كبــر عقله وتفتق ذهنه واتسعت آفاقه، يبقى بشرًا محدود الطاقات، يقول سيد قطب : " وهــذه الأرض الواسعة العريضة بالقياس إلى البشر، وهي ذرة أو هباءة، بالقياس على النجوم الكبيرة ثم بالقياس إلى هذا الفضاء الذي تتوه فيه، تتوه لولا القدرة التي تمسك بها وتنتظمها في العقد الكوني الــذي لا يتوه فيه شيء."[1] ، وربما كان هذا البحث لا يدور في فلك الأبحاث العلمية البحتة، ولو كــان كذلك لطال الحديث عن ماهية الأرض وطبقاتها ومكوناتها، وعناصــرها وأجزائهــا وأقطابهــا وخواصها، إلا أن موضوع البحث يقيدنا بعض الشيء .

وتجدر الإشارة إلى أن الله تعالى خلق الأرض لتكون كوكبا صالحًا للحياة، فجعل فيها الجبال والأنهار والسهول والتلال، وحباها سمات طبيعية لا نظير لها، وقيض كل ما فيها لتكون كوكبًا نموذجيًا، فكان موقعها بالنسبة للشمس موقعًا متميزًا لتشكل كتلة مستقلة بذاتها فريدة تكوينًا، وتطورًا وموقعًا، فكانت آية واضحة على قدرة الله جل وعلا، وبرهانًا حقيقيًا لا شك فيه ولا مراء على أنها من صنع خالق بديع، فكل ما فيها يسير وفق نظام دقيق لا يفتر،

1.سورة يس: الآية : 40 .

2. قطب ،سيد : **في ظلال القرآن** ، ط9 ، بيروت : دار الشروق 1980 م ،ج 25 ص127 .

فترى الجبال تحسبها هامدة وهي تمر مر السحاب، وترى الأرض تظنها ثابتة لكنها تـدور دون أن تشعر بها، ويختلف الليل والنهار، وتمر السنون دون أي خلل أو خطأ، ومـا زالـت الأرض موحشة مشتعلة في جوفها إلى يومنا هذا ، متحركة بمقدار يسمح لنا فيه بالحياة فوقها، و بـين الفينة والأخرى يذكرنا الله بذلك في براكين تثور أو زلازل تمور، يقول تعالى" وَفِـي الْـأَرْضِ آَيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ "[1]، ومن الطبيعي أن من يوجد نظامًا سائرًا بهذه الدقة لا بد له أن يشرف عليه لا أن يتركه، وهذا دليل آخر على أن الله تعالى لم يخلق الكون ويتركه بعدها وإنما ظـل الرقيـب عليه المتابع له .

وأهم ما نخلص إليه هنا، أن خلق السموات والأرض يعد أمرًا خارقًا للعادة، ليس لأي كان أن ينسبه لنفسه، وقد تكرر موضوع خلق السماوات والأرض في الآيات الكونية بشكل كبيـر ، حيث تعدد السياقات التي تناولت هذه النقطة، وكل ذلك يحمل دلالة أكيدة على قدرة الله وعظمته .

3. إنزال المطر وإحياء الأرض بعد موتها :

يعد المطر من أعظم آيات الله الخالدة ونعمه المشاهدة، فهو نعمة أبلغ وأظهر من أن يماري فيها أحد ، تلك الرحلة المعجزة بين السماء والأرض، والحياة والموت ، والبحار واليابسة ، و السيولة و التبخر، و ما يترتب عليها من حركتها بين عوالم مختلفة، وما ينتج عنها ، كيف لا وهي تتعلق بأخص مكنونات الحياة ، وما استودعه الله فيها من سر إنه ماء الحياة ، قال تعالى : وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ" [2].

ويرى يحيى جبر أن الماء حي يكتسب حياته من حركته المستمرة، حيث يقـول :"والمـاء حي، ذلك أنه سبب الحياة، ومصداق ذلك قوله تعالى " وَجعَلْنا مِنَ الماءِ كُلَّ شيء حَيّ" ولا يسبب الحياة إلا حي، وهو لذلك دائم الحركة، لأن التبخر حركة مستمرة تتم في كل الأحوال الطبيعية. ودورة الماء من البحر إلى السماء إلى الأرض، وجريه في الأنهار والينابيع – دليل قاطع علـى تلك الصفة فيه"[3]

---

1. سورة : الذاريات : الآية : 20.
2. سورة الأنبياء : الآية : 30 .
3. جبر، يحيى:**الحركة والحياة**، بحث منشور على موقع جامعة النجاح الوطنية، متوفر على : http://blogs.najah.edu/staff/yahya-jaber/article/article-18

وقد ذكر الماء في القرآن الكريم في بضع وثلاثين سورة، وذلك بيانا ً لأهمية هذه النعمة، فالماء ليس سر الحياة فقط ، بل هو سر القلوب، فكما يطهر الماء الأرض فتدب فيها الحياة، كذلك يطهر النفوس بما يخلفه فيها من أثر يلازمنا وقتًا طويلًا، فتتوق نفوسنا لرائحته، وتشتاقه أرواحنا، ومن يرقب هطول المطر يقف دهشًا أمام هذه المعجزة التي تستحق منا أكثر من ابتسامة إعجاب، ولا يجب أن يكون تفكيرنا محصورًا في كيفية نزول المطر، بل علينا أن نتجاوز هذه النقطة، ونتساءل في ذواتنا، أليس تصريف الماء الهاطل، وإعادة توزيعه دلالة واضحة على إعجاز الله تعالى ؟، ألا تتجلى لنا قدرة الله تعالى في إحياء الأرض الموات، ونفث الروح فيها بوساطة ماء المطر الذي يعدّ سر حياتها ؟ .

وغالبًا ما كانت آيات الماء مرتبطة ببعث البشر، لاسيما تلك الآيات التي تعرض لنا كيفية إحياء الأرض الجرداء بمجرد أن تسقى بماء المطر، وفي هذا دلالة واضحة على قدرة الله ــ جل شأنه وعلا ــ فمن يحيي الأرض بعد موتها قادر على إحياء العظام وهي رميم .

4. مدّ الأرض وتسخير كل ما فيها لخدمة الإنسان :

لو شق أحدنا طريقه في الأرض ، وسار بقدر ما يشاء، لوجدها ممتدة أمامه، تترامى بقاعها مد بصره، وهذا ما يشعرنا باتساعها، ومن رحمة الله بنا أنه جعل الأرض ممتدة لا مائلة، فسيحة منبسطة لا كروية كما هي في أصل تكوينها، يقول تعالى: " والأرض وضعها للأنام "[1]، و وضعها تعني :
أسرعها، خفضها و أذلها [2]، وكلها معان منطبقة على الأرض، فهي ممهدة ومستوية، وهي معاش للإنسان، وفراش له، إضافة إلى قدرتها على الحركة والإسراع دون أن نشعر بها وذلك من خلال دورانها حول الشمس وحول نفسها .

والتسخير : مصدر من سخّر بمعنى ذلل، وتسخير السماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم هو انتفاع البشر بها في بلوغ منابتهم ، والاقتداء بها في مسالكهم [3]، يقول تعالى: " هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ "[4] .

1.سورة الرحمن : الآية : 10 .
2. **لسان العرب**، مادة(وضع) .
3. المصدر السابق، مادة (سخر) .
4. سورة الملك : الآية : 15 .

وقد ميز الله سبحانه وتعالى كوكب الأرض عن بقية الكواكب، بأن جعله صالحًا للحيـاة، فهيأه ليكون مكانًا آمناً يعيش فيه الإنسان وقد توافرت له سبل الراحة، فخلق الجبال التي تثبت الأرض، وخلق البحار والأنهار، و أودع فيه من شتى أنواع الكائنات الحية، وجعلـه ذا شـكل يتلاءم والحياة فوقه كما سبق و أن ذكرت، وحباه خصائص أخرى كخاصية الجاذبية الأرضية التي تعد نعمة لا يدركها إلا من سنحت له فرصة زيارة القمر، فلو تخيلنا الحيـاة بـلا جاذبيـة لاختل ميزانها، ولكان الإخفاق مصيراً حتمياً لكل ما نفعله ، ولانعدمت أسس الحياة ولأصـبح العيش على هذا الكوكب مستحيلًا، ولو تخيلنا العالم بلا ماء مثلًا فهل نستطيع أن نمارس حياتنا الطبيعة وقتئذ ؟ ، لا بل هل نستطيع البقاء على قيد الحياة ؟ ، كل هذه حقائق لا بد أن نتفكر فيها ونتأملها، ونأخذها بعين الاعتبار، لا أن نتغافل عنها متذرعين بأننا نؤمن بالله ونوقن وجـوده ، فهذا وحده ليس كافيًا، لأن هذه النعم لا تقودنا فقط إلى الله تعالى، ولا توجب علينـا أن نعتـرف بألوهيته وحسب، بل توجب علينا أن نخضع له ونشكره عليها، عرفاناً بعظيم كرمـه، وكبيـر منّه، و أن نعظم حرماته ونبجل شعائره، وأن نولي مثل هذه المشـاهدات اهتمامـاً أكبـر، و عناية أعظم، و غاية النظر والتفكر والسير في الأرض الاستدلال على الخالق، علماً أن هـذا الأمر ليس بحاجة إلى كبير عناء أو كثير جهد، فكل شيء في ملكوت الله شاهد على وحدانيته ، ناطق بربوبيته، صادح بألوهيته، إنما الحاجة إلى تغيير زاوية النظر المألوفـة إلـى الأشـياء، وإرجاع البصر في الموجودات بطريقة غير مألوفة، وقتئذ يدرك الإنسان السـر الكـامن وراء وجودها .

5 . تصريف الرياح :

الرياح : واحدتها ريح، و هي نسيم الهواء، و نسيم كل شيء و هي مؤنثة، و جمع الريح أرواح، و جمع الجمع أراويح، و قد حكيت أرياح، و عن سيبويه الريحة : طائفة من الريح .[1]، وتصريف الرياح من الأمور المعجزة التي لو دققنا فيها لأدركنا عظمتها، فتسيير الرياح ليس بالأمر اليسير السهل، لأنه يحتاج إلى نظام محكم وناموس دقيق، فتارة تكون الرياح شرقية و أخرى غربية، وتارة تكون عاصفة، وتارة نسيماً عذباً ، و توجيه الرياح وتوزيعها بين مختلف المناطق والأقطاب، بما يتلاءم مع مناخ كل مكان، يعد أمراً خارقا يستحق منا إعادة النظر فيه، و معنى التصريف كما يقول الشعراوي : "التحويل و التغيير أي

---

1 . **لسان العرب** ، مادة (روح) .

توجيه الرياح إلى نواح مختلفة، سواء إلى الشمال أو الجنوب أو الشرق أو الغرب " .[1]، أما سيد قطب فيرى الإعجاز في تصريف الرياح في كونها " تمضي شمالا وجنوبا وشرقا وغربا منحرفة ومستقيمة دافئة وباردة، وفق النظام الدقيق المنسوق المقصود في تصميم هذا الكون العجيب" .[2]

وكل هذه المشاهد السابقة، آيات تخاطب الأذهان وتستجيش العقول، فكم شـاقت لمثلهـا القلوب، وحار أمام عجائبها الفكر، فهي مشاهد تستثير إحساسنا الكليـل، وتسـتنهض وجـداننا الغافل، رغبة في التعامل مع كل ما في الكون بطريقة أكثر عمقًا، بعيدًا عن سطحيتنا التي اعتدنا التعامل بها مع مثل هذه المشاهد .

ومن الدلالات التي تحملها مضامين الآيات الكونية و الإنسانية :

1. تتجلى لنا من خلال هذه الآيات قدرة الله تعالى في خلق الكون و خلق الإنسان .
2. أن هذه الآيات اشتملت على مشاهد ربما ذهبت الألفة بجمالها في أعيننا، و لكن مع قليل من التأمل ندرك مدى عظمتها .
3. أن الإنسان لو تأمل نفسه فقط، لشعر بمدى ضعفه و عجزه، فهو غير قادر علـى فهـم ديناميكية جسده، وبالتالي يذعن لله تعالى ويدرك عظمته .

والآن وبعد أن تناولنا مضامين الآيات الكونية بشكل سريع ، و توصلنا إلى ما تحمله مـن دلالات ، لا بد من التعريج على مضامين الآيات الإنسانية لمعرفة الدلالات التي تحملها ، وهذه المضامين هي :

موضوعات الآيات الإنسانية :

1. خلق الإنسان من تراب.
2. المراحل التي مرّ بها الجنين.
3. تزويده بالحواس لا سيما السمع والبصر والفؤاد.

---

1. تفسير الشعراوي مج1، ص691 .
2. **في ظلال القرآن** ، ج25 ص130 .

أ .خلق الإنسان من تراب :

إن عملية الخلق من الأمور التي لا تنسب إلا إلى الله تعالى، فهذا أمر محسوم، لا مجال فيه للشك ولا للحيرة، ودلالة ذلك أنك أيها الإنسان موجود، ووجودك يعني أن هناك من أوجدك، وغيرك أيضاً موجود وهذا يعني أن هناك من أوجده أيضاً، هكذا تتبلور لنا حقيقة الوجود إلى أن نصل إلى خالق واحد لنا جميعاً ، ألا هو العزيز الحكيم .

والله تعالى يعرض لنا في كتابه الكريم حقائق بالغة الأهمية عن خلق الإنسان وأطوار نشأته، وقد خلق الله تعالى الإنسان من تراب كما في قوله:" يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ "[1]، ومن ماء في آية أخرى " ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ "[2]، ويشترك التراب والماء لبناء جسم الإنسان، وممّا يثير الدهشة أن العلم أثبت حديثًا أن" التحليل المخبري للتراب يكشف أنه يحتوي على عناصر عديدة مثل الكالسيوم والماء والفسفور والمنغنيز والحديد والكربون وغيرها، وبالمقارنة مع عناصر جسم الإنسان توصل العلماء إلى أن ثمانية عشر عنصرًا، مشترك بين جسم الإنسان والتراب "[3]، وهذا القول يدلنا على أن التراب هو أصل الإنسان، منه خلق وإليه يعود، وكما أن عناصر جسم الإنسان تتوافق مع معظم مكونات التراب، فالإنسان حين تكتمل سيرته، ويوافيه الأجل، يرد إلى الأرض، وكأنه قد عاد الى تلك العناصر التي أخذ منها، فمنها المخرج وإليها المآب .

ب . **الأطوار التي يمر بها الجنين :**

لقد سبق وذكرنا أن الإنسان مخلوق من تراب، لكن ذلك لا يكفي ليتشكل على هيئته المعروفة، حيث لا بد له من ولوج سلسلة من المراحل التي تحيله إلى شكله المألوف، وقد أدخلنا القرآن الكريم في أثناء عرضه لخلق الإنسان في تدرج بديع، وتسلسل فريد، من خلال شرح دقيق للمراحل التي يمر بها الجنين في رحم أمه، والآيات الدالة على ذلك كثيرة، يقول تعالى " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ

1.سورة الحج: الآية : 1.

2. سورة السجدة : الآية : 8 .

3. الكوسة، عماد : **الإنسان بين النشأة و البعث**،ط1، دار عبد المنعم، سورية ــ حلب، 2004م، ص 86 .

بَهِيجٍ" [1]، فالإنسان يكون في الرحم نطفة صغيرة، محاطا ً بثلاثة أشياء، بغشاء داخل الرحم كالكيس ــ المشيمة ــ ، ثم محاطًا بالرحم، ثم محاطًا ببطن الأم، يقول تعالى " يَخلُقُكُم فِي بُطُونِ أُمّهتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِيْ ظُلُمتً ثَلاث "[2]، ثم تتحول النطفة البيضاء إلى تجمع دموي أحمر يسمى علقة، لأنه يتعلق بجدار الرحم، ثم بعد ذلك تتحول العلقة إلى مضغة، والسبب وراء تسميتها بذلك يعود إلى أنك إذا نظرت إليها بالمنظار تبدت لك كقطعة لحم ممضوغة، ومع بداية الأسبوع الثامن تبدأ العضلات بالظهور، ويبدأ الهيكل العظمي بالتشكل، وتبدأ العظام الصغيرة تكسى باللحم، وهي طبقة لحم رقيقة خفيفة، إلى أن يتشكل الجنين ليصبح كاملًا، فسبحان الله العظيم، الذي أحسن كل شيء خلقه. [3]

إن الإنسان هو الأعجوبة العظمى في هذا الكون، فهو عالم مليء بالأسرار، وفيه من المعجزات ما خارت أمامها العقول، وشاخت إزاء إعجازها القرائح، فكم من عالم أجنبي، لا يعرف عن الدين شيئًا، انقاد راغبًا طائعًا متذللًا لله تعالى، بعد أن اكتشف حقيقة علمية لا ينقضي منها العجب تختص بجسم الإنسان مثلًا، وكم من جاحد يرى نعم الله عليه تنهال، ثم يصر مستكبرًا كأن لم يتذوق نعمة قط، ولو أنه تأمل في كينونة هذا الجسد الذي يضمه، وتلك الروح التي تسكنه، لأذعن لله تعالى ولخضع وتراجع عن عناده، لكنه الغرور الذي يطغى على الذات فلا يرى الإنسان إلا نفسه، ولا يسمع إلا صوته، ولا يدرك إلا أهدافه ومآربه متغاضيًا عمّا حوله، معرضًا عن كل آية تصدح بعظمة الله .

جـ . تزويده بالحواس : السمع والبصر والفؤاد :

لقد أمر الله تعالى الإنسان أن يعبده ويدين له بالوحدانية، وأن لا يشرك به شيئا ً، لكنه لم يتركه في هذه الحياة وحيدا ً لا يملك من أمره شيئا ً، ولم يطالبه بالخضوع دون أن يعينه عليه ، ويوفر له كل ما يحتاجه في سبيل الوصول إلى طريق الحق المبين، لذلك وهبه الحواس وزوده بالجوارح، وميزه بالعقل عن بقية المخلوقات، وسائر الكائنات، وحباه كل ما يرشده إلى الخير، فجعل فطرته التي جبل عليها فطرة سليمة، فكانت الحواس مفاتيحه لعالم التفكر وهي أشبه بالمجسات، التي تستقطب كل ما حولها وترسله إلى العقل الذي بدوره يحلل ويفكر.

1. سورة الحج : الآية : 5.
2. سورة الزمر : الآية : 6.
3. ينظر ، خالد ، عمرو : **عبادات التفكر** ،ط1 ، بيروت ــ لبنان ، مطبعة المتوسط،2004 م ص54 ــــ ص58.

لكن علينا أن نفهم آلية هذه الحواس و إمكاناتها، فهي ــ منفردة ــ لن تفي بالغرض في عملية الإدراك، حيث الاعتماد عليها وحــدها، و الاتكــاء علــى مشــاهداتها وملموســاتها و مسموعاتها فحسب يعد أمراً لا طائل منه، فهي مرشد عظيم إن تضافرت مع جهود العقــل، و كللت نتاجها بنتاج العقل، ذلك أن هناك أنواعًا متعددة من الحيوانات التي تمتلك حواس أقــوى بكثير من حواس الإنسان، لكن هذه الحواس لا تغني عنها شيئاً في عملية الوعي والإدراك وإن كثرت، فالعقل هو سيد هذه الحواس، وهو مركز الإدراك الحقيقي، وهو بؤرة يجتمع فيهــا كــل محسوس ومنظور ومسموع، حيث بدوره يقوم بفرز هذه الأمور وتفسيرها واستيعاب مدلولاتها ، والحواس تعد وسيلة من وسائل التواصل لا غاية تصبو لها النفوس، فهي طريق للعلم و نعمة لن يشعر بلذة وجودها سوى من فقدها .

وقد زود الله تعالى الإنسان بالحواس لتكون حجة له أو عليه، فإن كانت حجة له شهدت بولائه وطاعته، وإن كانت حجة عليه شهدت يوم القيامة على ما اقترف فيها، لذلك كان لا بد من استخدام هذه الحواس بالوسائل المشروعة، فهي نعمة لمن أرادها كذلك، ونقمة على من أرادها كذلك، فسلطان العقل غالب على كل سلطان، وسطوته طاغية على كل سطوة، ومن أعياه عقله أعياه وجوده، ومن وجد لبه وجد سعادته، ومن كانت ضالته عقله فقد هلك .

وعلينا أن نوقن أن حواس الإنسان محدودة مهما اتسع مداها، وأن عقله محصور مهما تفتحت مغاليقه، فالعقل لا يدرك إلا ما قدر له إدراكه، ولو أحاط الإنسان بشتى أنواع المعارف والعلوم، يظل تفكيره و عقله محصورين محدودين، لأن الإنسان مخلوق ضعيف لم يؤت من العلم إلا القليل، لذلك علينا أن نحسن استخدام هذه الحواس بما قدر لنا وبما تسمح به طاقاتنا البشرية .

ولا بدّ من الإشارة إلى وجود تناسق واضح بين مضامين الآيات الكونية و الإنسانية وخاتمتهما، وقد عرضنا مضامين هذه الآيات بشكل سريع، و أوجزنا أهم ما عرضت له، فكانت كلها تدل على قدرة الله تعالى في خلق الكون وخلق الإنسان، أما الآن فأهم ما سنعرض له مضامين الخاتمة في هذه الآيات، في محاولة لاستنباط الصلة بينها وبين المضامين في صدر الآيات ذاتها، ولذا لا بد لنا من استعراض سريع لمضامين خواتيم هذه الآيات .

مضامين جملة الخاتمة في الآيات الكونية والإنسانية :

1. الدعوة إلى التفكر في الكون و الإنسان .
2. مخاطبة الحواس.
3. استنكار إعراض الإنسان وجحوده ونكرانه .
4. أسماء الله الحسنى .

وهذه الموضوعات بمجرد النظر إليها ندرك الصلة بينها وبين مضامين الآيات الكونية والإنسانية، ونجدها نتائج حتمية لموضوعات الصدر في هذه الآيات، و السبب في ذلك واضح بسيط، لأنه من البدهي أن تحمل جملة الخاتمة في طياتها دعوة إلى التفكر مثلاً ، لأن الآيات الكونية والإنسانية حوت مظاهر فريدة، ومشاهد بديعة، تحتاج منا إلى تفكر و تأمل عميقين، لذلك كان من المنطقي أن تخاطب خواتيم هذه الآيات العقل والفكر في دعوة إلى التبصر و التأمل، أما مخاطبة الحواس فهو أمر حتمي لا مفر ولا مناص، لأن الإنسان ما كان أبدًا ليدرك هذه المشاهدات، إلا بوساطة حواسه التي تعينه على التقاط هذه المشاهد، وبدورها توصلها إلى مركز الإدراك ألا وهو العقل، لكن الناس في هذا الكون لا يستوون، ولو كان الناس كلهم سواء لاختل ميزان الحياة، فكما هناك ليل هناك نهار، وكما هناك نار هناك ماء، وكما هناك حق هناك باطل وهكذا ....، ولكن استقبال الحواس لما حولها من المظاهر يختلف من شخص إلى آخر، لذلك لا يستوي البشر كلهم في تعاملهم مع ما يشاهدونه ويلمسونه و يسمعونه، فكما أن هناك أشخاصًا يتفكرون في الكون ويتأملون مظاهره، هناك آخرون لا تلفتهم مثل هذه المشاهدات، ولا يهز كيانهم ما تنطوي عليه من إعجاز، لذلك كان لا بد من أن تخاطب بعض الخواتيم في الآيات الكونية والإنسانية، من أعرض وأنكر واتبع غيه وضلاله، فجحد نعمة الله، وأعماه غروره وأخذته العزة بالإثم، أما أن تأتي بعض الخواتيم متضمنة لأسماء الله الحسنى، ففي ذلك تعظيم لمن خلق و أبدع وأنشأ ونظّم و صنع و أتقن .

1. الدعوة إلى التفكر :

والدعوة إلى التفكر دعوة إلى إعمال العقل، وتنبيهه إلى بديع صنع الله، وتحريره من همودِه وتبلده، وذلك في محاولة لاستنباط ما في الكون من أسرار، ويعد التفكر من الأمور التي وردت في القرآن الكريم في مجالات عدة، لا سيما الكونية والإنسانية منها، وذلك في استثارة لحس الإنسان، واستصراخ لقدرته على التأمل العميق، وبالتالي يستفيد الإنسان من العقل الذي ميزه به الله تعالى عن سائر المخلوقات .

ويرى يحيى جبر أن "التفكير، والتفكر تكلف التفكير والتزايد فيه، ويقوم على تفتيت الكل، والنظر في العلل والعلاقات، والمعنى التحليلي . والحامل الدلالي هو الفاء والكاف، وما الـراء بترددها وتكررها إلا دليل على أن الحرف الثالث هو الذي يوجه المعنى، فكأن الأمر تحليـل، وتحليل، وتحليل "[1]، وهذا يعود أيضًا إلى طبيعة بنية الكلمة التي أفادت الزيادة في مبناها زيادة في معناها ومبالغة فيه، فتشديد الحرف الثاني كان له أثره الصوتي والمعنوي على الكلمة، ممّـا أكسبها دلالة أعمق وإيحاء أدقّ .

وما أكثر الآيات المنثورة حولنا، الناطقة بعظمة الله، الشاهدة له بالوحدانية، وهي آيات تنبه العقول الغافلة، التي حجبتها الغفلة عن نور الحقيقة، فالآيات الكونية تتراءى لكل متمعن، إلا أن الإنسان ينشغل عنها، و ينصرف إلى ما دونها أهمية، فيصبح كالأعمى والأصم، وأنى له حينها أن يقارن بالبصير المتوقد السمع .

والتفكر من الأمور التي توسع الآفاق، و تفتح مغاليق القلوب، وتستحث المرء على التوجه إلى الله تعالى بكل ما أوتي من قوة، فمن تفكر تدبر و من تدبر أيقن، وقد ضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أروع الأمثلة في التفكر، وتأمل مظاهر الكون، حيث كان عليه الصلاة والسلام يعتكف في غار حراء، متأملًا ينظر في كل ما حوله، ويتفحصه بعين المتبصر الذي يوقن أن لهذا الكون خالقًاعظيمًا، وأن وراء ذلك النظام البديع المتقن الذي لا يتسنى له أن يخطئ ولو لثانية واحدة حكيمًا قديرًا هو الله جلّ جلاله، وليس المقصود بالتفكر الانقطاع عن أمور الدنيا، والاعتكاف في صومعة ما، والاكتفاء بالنظر والتدبر، فالله تعالى لم يطلب إلينا أن نهجر حياتنا وعملنا، ونتقوقع على أنفسنا، متذرعين بضرورة التفكر في الكون، تاركين خلفنا أعباء و مسؤوليات جسيمة، فليس المطلوب التزام التفكر في كل حين، وفي الوقت ذاته لا يجب أن نغفل هذا الجانب التعبدي الراقي، الذي تسمو به أرواحنا، لأنه الطريق إلى الحق تبارك وتعالى، بل علينا أن نكون معتدلين، نمارس حياتنا الطبيعية، و ننجز كل ما علينا من أعمال، و بين الفينة و الأخرى ندقق فيما حولنا، ونتأمله بقلب مؤمن، ووعي متيقظ، لأن في ذلك أجرًا ً كبيرًا، و تذكيرًا بالله سبحانه و تعالى .

---

1. جبـر، يحيـى: **وللأصـوات أرواح**،بحـث منشـور علـى موقـع جامعـة النجـاح الوطنيـة، http://blogs.najah.edu/staff/yahya-jaber/article/article-18

وقد سبق و أشرنا إلى أن الدعوة إلى التفكر في خواتيم الآيات الكونيـــة والإنســـانية أمــر طبيعي، طالما أن هذه الآيات في مضامينها تبين لنا المظاهر الكونية والإنســانية فــي أعظــم صورها، و أكثرها إعجازا ً، فلا غرو أن تكون الآية التي تتحدث عن خلق السماوات و الأرض مثلا، تحض خاتمتها على التفكر في كيفية الخلق، فهو أمر معجز، تدهشك عجائبــه ، وتبهــرك فرائده، ولا عجب في أن تكون الآية التي تصور لنا بنقاء ووضوح كيفية هطــول المطــر ــ المصحوب بالحياة لكل ما في الكون ــ مخاطبة العقل في خاتمتها، و طالما أن الدعوة إلى التفكر دعوة إلى إعمال العقل ، فمن الطبيعي أن تخاطب جملة الخاتمة في الآيات الكونية و الإنســانية العقل، فلم يكن الخطاب متضمنا ً الحض على التفكر فحسب، بل كان مشتملًا على دعوة صريحة بتشغيل العقل، و الاستفادة منه، فجاءت الصيغ موجهة إلى العقل و الفكر معا ً، "أفلا تعقلون "،" لعلكم تعقلون "، " لعلكم تتفكرون "، " إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون " ، " إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون " .

2. مخاطبة الحواس :

لقد جاءت جملة الخاتمة في الآيات الكونية و الإنسانية مخاطبة الحواس و الجــوارح، تستنطقها وتستنهضها لتعمق إحساسها بما حولها، فكل شيء في هذا الكون شاخص موحٍ ، ينطق بوحدانية الله و يصدح بعظمته، لكننا نجهل كثيرا ً مما يدور حولنا، فحواسنا منصرفة عن المحيط الخارجي، معطلة مجمدة، و قلوبنا هامدة بليدة الشعور كليلة الحــس، وعقولنــا باردة، فلو كانت هذه الجوارح و الحواس مبصرة واعية لتأملت وتفكرت في عجائــب هــذا الكون، و فرائد خلق الإنسان، و لأذعنت لله تعالى و شهدت له بالوحدانية ، لا قولا ً فقــط وإنماعملاً و التزاما ً و تطبيقا ً، فكم منا يشهد لله بالوحدانية، لكن هذه الشهادة تكون شـــهادة جافة ميتة تلهج بها الألسن دون القلوب .

وربما استوفينا ــ في صفحات سابقة ــ حديثنا عن الحواس، وبيّنّا أهميتها بالنسبة للإنسان، وكيفية استخدامها، دورها في عملية التفكر ، وضرورة تشغيلها واستغلالها بشكل صحيح، لذلك سنكتفي هنا بالقدر الذي سبق أن عرضناه، وسنوجه جلّ اهتمامنا في موضوع الحواس في خاتمة الآيات، إلى الحواس التي خاطبها الله سبحانه وتعالى، وإلى مجموعة من الخطابات التي اجتهدنا وأدرجناها ضمن قائمة الحواس .

أما فيما يخص حواس الإنسان الخمسة، فقد كان الخطاب موجهًا ــ في جمل الخاتمة في الآيات الكونية والإنسانية ــ لحاستي السمع والبصر فقط، وربما يكون السبب في ذلك أن هاتين الحاستين أكثر الحواس رصدًا لما حولها، وأقدرها على استيعاب المحيط الخارجي، و السمع والبصر من أهم حواس الإنسان لأنهما وسيلتان للتواصل والاتصال مع من هم حوله، هب أن أحدًا لأسباب ما فقد نطقه، هل يستطيع أن يمارس حياته بشكل نصف طبيعي، أو شبه طبيعي ؟ الإجابة نعم، لأنه يرى الآخرين و يسمع منهم ويتواصل معهم ويفهمهم، وهو قادر على رصد انفعالاتهم وأحاسيسهم، وقادر في الوقت ذاته على متابعة برنامج تلفزيوني، أو مشاهدة مباراة لكرة القدم مثلًا، أو قراءة القرآن الكريم و لو بعينيه، واستحضار آياته في قلبه، لكن في المقابل هب أن أحدهم فقد سمعه أو بصره مثلًا، فهل ستكون حياته كذاك الذي فقد نطقه ؟ بالطبع لا ، فهو غير قادر على التواصل مع الآخرين بشكل كبير، وحياته ستكون أشبه بالعزلة، ومن هنا تتبدى لنا أهمية حاستي السمع والبصر، وتميزهما عن سائر الحواس، ومن يقرأ كتاب الله بتمعن وتأن، يدرك أن الله سبحانه وتعالى في كل الآيات التي كان يخاطب بها الإنسان ويذكره بأنه وهبه حواس تعينه، يركز سبحانه وتعالى على حاستي السمع والبصر، ويتبعهما بالفؤاد.

وفي هذا المقام علينا أن نتنبه إلى جانب بالغ الأهمية عظيم الشأن، وهو قدرة بعض الناس على التكيف مع أوضاعهم، والتغلب على إعاقاتهم، فليس كل أعمى العين أعمى القلب، وليس كل مبصر العين مبصر القلب، فنور البصيرة أقوى من نور البصر، والدليل على ذلك أولئك الأدباء و العلماء الذين فقدوا أسماعهم أو أبصارهم، لكنهم أبدعوا وفاقوا الذين يمتلكون حواس سليمة، لأن الإرادة والجهد يحققان النجاح الحقيقي، فهذا (طه حسين)، عميد الأدب العربي تغلب على فقدانه للبصر، واستعاض عنه ببصيرته الوقادة، وأثرى المكتبة العربية بمختلف الكتب والمؤلفات التي قد لا تضاهي روعتَها مؤلفاتٌ لأدباء مستوي الخلقة، وذاك أبو العلاء المعري الذي تغلب أيضاً على إعاقته و خلّف لنا أدبًا راقيًا ما يزال يدرّس حتى الآن، وعلى النقيض هناك أشخاص ليس لديهم أيه علة، ولا يشتكون من أي مرض، إلا أنهم ــ بحد ذاتهم ــ يشكلون عالة على المجتمع، ويشوهون بأمثالهم نقاءه، فقد امتلكوا كل شيء لكنهم أضاعوا عقولهم، و بذلك أصبحوا كالأنعام لم يغن عنهم سمعهم ولا بصرهم من شيء، عاشوا مبصرين في الدنيا، و غدوا عميانًا في الآخرة، فقد أغمضوا أعينهم عن نورالهدى، ووضعوا أصابعهم في آذانهم كي لا يسمعوا نداء الحق .

و ممّا لا شك فيه أن الخاتمة التي جاءت تخاطب الأسماع تلاءمت مع مضمون الآية الـذي لا يناسبه إلا السامعون، و كذلك الخواتيم التي جاءت تخاطب الأبصار تناسبت مـع مضـمون الآيات نفسها، فكانت مخاطبة البصر في ذلك الموقف أدعى لإقامة الحجة، وأكثر تأدية للمعنى.

والصيغ التي خاطب بها الله سبحانه و تعالى السمع والبصر في جمل خواتيم الآيات الكونية والإنسانية، كانت معظمها على شكل سؤال، وهي" أفلا تبصرون" " أفلا يبصرون "، "أفلا يسمعون " ، أفلا تسمعون "، وفي فصل لاحق سنتناول نوع هذه الاسئلة و الغرض منها ، و ستناول أيضًا بعض الجوانب المتعلقة بهذه الصيغ من حيث كانت للغائب أو المخاطب، و سنعرض لأسباب ذلك ومدلولاته، ولم تكن هذه الصيغ الوحيدة التي قد خاطبت الحواس، بل كان هناك صيغة أخرى، لم تكن على هيئة سؤال، وهي " إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون "، " إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار "، وهي جمل اسمية منسوخة بحرف، سنعرض لها أيضاً في فصل قادم .

أما الصيغ التي أدرجناها باجتهادنا ضمن صيغ الحواس، فهي اليقين و الإيمان و التقوى ،وجاءت جملة الخاتمة التي تضمنت هذه الجوانب الثلاثة على هيئتين أيضاً هما:

1. استفهام ، (أفلا توقنون) ، (أفلا تتقون) ،(أفلا تؤمنون) ، (أفغير الله تتقون) .
2. جملة اسمية مؤكدة بإنّ : (إن في ذلك لآيت لقوم يوقنون) ، (إن في ذلك لآيات لقوم يتقون) ، (إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) .

فمثلًا ورد في لسان العرب معنى كلمة اليقين : أيقن إيقانًا، وتيقن تيقنًا، واستيقن استيقانًا، و اليقين: إزاحة الشك، والعلم الحاصل عن نظـر و اسـتدلال، واليقـين :المـوت ".[1]، وكـذلك التقوى : "و هي اسم من الاتقاء، و أصله تقيا وقيل وقوى، والتقوى عند أهل الحقيقة الاحتـراز بطاعة الله عن عقوبته، والتقي صاحب التقوى، جمعها أتقياء و تُقواء"[2]،وأخيـراً الإيمـان : " التصديق مطلقاً والاعتقاد بالله و رسله ووحيه و هو نقيض الكفر، وقيل الإيمان هـو الاعتقـاد بالقلب "[3].

---

1. **لسان العرب** ، مادة (يقن) .
2. المصدر السابق مادة (وقى) .
3. **لسان العرب** مادة (أمن) .

وإذا اعتمدنا على هذه المعاني، فلن نصل إلى أية صلة من قريب و لا من بعيد بينها وبين الحواس، لكن في أغلب الأحيان علينا أن نتعامل مع كثير من الألفاظ بطريقة غير تقليدية لا تخلو من الفلسفة و التعمق بعض الشيء، إضافة إلى الغوص في مكنونات اللغة في محاولة لربط أجزائها الداخلية بعضها ببعض، و لو أننا بحثنا عن المشترك بين تلك الألفاظ (التقوى والإيمان واليقين)، لوجدنا أن مقرها القلب، ومركزها الفؤاد، وأنها غيرظاهرة ولا واضحة ، وإنما تكون حشو الجوهر، وملأ العمق، ترتبط بالنوايا وتتصل بالخفايا، لا يعلمها إلا الله سبحانه و تعالى .

وكل ما أشرنا إليه حتى الآن لا يقودنا إلى الحواس، بل لا نكاد نلمس بينه وبين معنى الحواس أدنى صلة، لكن إذا تعمقنا كثيرًا في معنى كل من التقوى والإيمان واليقين، وأمعنا النظر في مدلولات هذه الألفاظ ، وتساءلنا عن ماهية كل منها، أدركنا أن الإنسان لا يؤمن و لا يوقن ولا يتقي، إلا إذا تشربت حواسه هذه المعاني وتشبعت بها، وأدركتها إدراك الواعي، بمعنى آخر يصل الإنسان إلى مرحلة الإيمان بعد مشوار طويل جدًا من التفكر والتأمل وموازنة الأمور، وتقليبها في العقل والذهن، واستيعاب كل ما يتصل بها، وإدراك حقائقها، و التدبر في كينونتها، والإيمان مرحلة متأخرة لكل ما سبق، بمعنى أن المرء يؤمن حين يجتاز المراحل السابقة كلها، وحين تكون حواسه قد آمنت من قبله، وأدركت حقيقة ما تبحث عنه، أمّا اليقين فيأتي بعد أن يختمر الإيمان في القلب، ويستقر فيه.

3 . استنكار إعراض الإنسان و جحوده ونكرانه :

لقد عرضت خاتمة بعض الآيات الكونية و الإنسانية جانباً هاماً من الجوانب التي تتعلق بشخصية فئات معينة من البشر، أولئك الذين فقدوا إحساسهم بما حولهم، و انصبت اهتماماتهم على مصالحهم الشخصية، و ظنوا أن ما حققوه من نجاح كان من عند أنفسهم، متغافلين عن فضل الله عليهم، متغاضين عن نعمه، أعماهم غرورهم عن ضياء الحق، و حجبهم انبهارهم بذواتهم عن نور الحقيقة، فأعرضوا و جحدوا نعمة الله عليهم، و ضلوا بأهوائهم، و هذه الفئة الغافلة كانت موضوعًا لافتًا من الموضوعات التي عرضت لها الخواتيم في الآيات الكونية و الإنسانية، وربما يكون السبب في ذلك الرغبة في إيقاظهم من غفلتهم، وتذكيرهم بنعم الله عليهم

و لم ترسم لنا الخاتمة في هذه الآيات صورة واحدة لجحود الإنسان ونكرانه، و إنما عرضت لنا وبكل وضوح صورًا متعددة لهذا الجحود، وأشكالًا مختلفة لذاك النكران، وبالتالي

فإن من يقرأ هذه الآيات تستقر في ذهنه هيئة ذلك الإنسان الجاحد بأبشع صوره، و أكثرها استفزازًا .

و هذه الأشكال هي :

1. استنكار الإعراض عن آيات الله .
2. عدم شكر الله على نعمه .
3. التغافل عن آيات الله و نسيانها .

وأهم ما تجدر الإشارة إليه أن الإعراض لم يكن صورة واحدة، فقد تعددت أشكاله، و ربما يكون السبب في ذلك أنه يختلف من شخص إلى آخر، فهذا يصرف بصره عن آيات الله، و ذاك يتجاهل الدلائل الناطقة بعظمة الله، وآخر ينشغل بنفسه ويغتر بنجاحاته .

وفي معنى الإعراض جاء في لسان العرب : أعرض عن الشيء إذا ولاه ظهره "[1]، و بالتالي فإن من يعرض عن آيات الله تترامى أمامه دنياه بكل ما فيها، و تلوح له أحلامه، مخلفاً وراءه كل ما يذكره بالله، فلا يلتفت إليه أبداً ، و يظل بصره محصورًا في مكان واحد لا يفارقه . ولم يكن لفظ الإعراض مباشرًا، و إنما جاء بهيئة ألفاظ متعددة، تحمل في كنهها دلالة شبه متماثلة، فكان سبحانه و تعالى يخاطب الذين يصدفون عن آياته، ويُصرفون عنها، بأسلوب لاذع، لايخلو من الاستنكار والتوبيخ، بصيغة سؤال: " أنى تؤفكون"، " أنى تصرفون "

وهذه الألفاظ الثلاثة(تؤفكون، تصدفون، تصرفون) تحمل في عمقها دلالة الإعراض، " الصَّدُوفُ: المَيْلُ عن الشيء . وأَصْدَفَني عنه كذا و كذا أَي أَمالَني، ابن سيده : صَدَفَ عنه يَصْدِفُ صَدْفاً و صُدُوفاً: عَدَلَ . و أَصْدَفَه عنه : عَدَل به، وصَدَفَ عني أَي أَعْرَضَ، وقوله عز وجل: سَنَجْزِي الذين يَصْدِفون عن آياتنا سُوء العذاب بما كانوا يَصْدِفُونَ، أَي يُعْرِضون" [2]، بينما جاء في معنى الصّرف : " رد الشيء عن وجهه، يقال صرفه يصرِفه صرفاً فانصرف "[3]، وجاء لفظ أفك : "بمعنى الكذب، لكن نقول : أفِك قوم كذبوك وظاهروا عليك، أي صرفوا عن الحق و منعوا منه "[4] .

---

1. **لسان العرب** ، مادة (عرض) .
2. المصدر السابق ، مادة (صدف) .
3. السابق ، مادة (صرف) .
4. السابق ، مادة (أفِك) .

على الرغم من كون هذه الألفاظ تدور في فلك الإعراض، فأن كل كلمة فيها ترسم صورة مختلفة للإعراض، إذ إنه لا مترادف في القرآن، وافتراق اللفظ دون المعنى، ربما يكون دليلًا على أن الله تعالى أراد أن يخاطب هؤلاء المعرضين بشتى الألفاظ، وبكل المسميات، وقد يكون السبب في ذلك، تشويه صورة الإعراض عن ذكر الله وآياته، حيث ترتسم لهؤلاء الأشخاص صورة مشوهة في الذهن، تتعدد مفرداتها، وتتنوع عناصرها، مما يشكل لدى المرء نفورًا حقيقيًا من الذين يرون الحق ويتغاضون عن بهائه، ومهما يكن من تعدد في اللفظ، فإن هذا كله لا ينفي حقيقة واحدة هي أن هؤلاء الناس التفوا حول أنفسهم، و انشغلوا بأهوائهم، فأضلهم ذلك و قادهم إلى الهلاك .

وما يهمنا في الأمر، أن الحديث عن الإعراض في خاتمة بعض الآيات الكونية و الإنسانية، يعد أمرًا طبيعيًا، لا عجب فيه ولا غرابة، فهو يتناسب مع مضمون بعض الآيات التي من بها الله تعالى علينا، فما كان من البعض إلا أن قابلوا الإحسان بالإساءة، و تنكروا لخالقهم، و تمادوا في ضلالهم و غيّهم، حتى نسوا ذكر الله فكانت عاقبة أمورهم خسرًا .

أما الشكل الآخر من أشكال جحود الإنسان و نكرانه، فكان عدم شكر الله على نعمه، و تجاهل كبير منه، وواسع كرمه، وفيما نرى أن قمة الجحود ألا تشكر من أحسن إليك، و أن تجحد فضله عليك، و في لسان العرب : " الشُّكْرُ: عِرْفانُ الإِحسان ونَشْرُه، وهو الشُّكُورُ أَيضاً . قال ثعلب : الشُّكْرُ لا يكون إِلاَّ عن يَدٍ "[1] .

وقد كثرت الخواتيم التي تناولت هذا الجانب، حيث تعددت الصيغ التي اشتملت على قلة الشكر، ونكران العبد لنعم الله عليه، فتارة تكون بصيغة استفهام لاذع : أفلا تشكرون، وتارة بصورة جملة يكتنفها التوبيخ والتعجب من جحود الإنسان : " قليلًا ما تشكرون، وقد وردت هذه الصيغ في خواتيم بعض الآيات الكونية والإنسانية بشكل لافت، بل تكررت غير مرة، و فاقت بذلك بقية الصيغ المتعلقة بالجحود و نكران الإنسان .

أما التغافل عن آيات الله و نسيانها، فقد كان من الجوانب التي لها نصيب من الخاتمة في الآيات الكونية و الإنسانية، إذ تمثل جحود الإنسان في تغافله عن آيات الله، وتغاضيه عن

1. **لسان العرب**، مادة (شكر).

دلائل قدرته، وهذا لا يعني أن الذين ينتمون لهذه الفئة، يتغافلون عن عظمة الله سواء في خلق الكون أو خلق الإنسان، ولئن سألتهم من خلق الكون، وأودع الروح في الإنسان، لأجابوك بملء أفواههم، الله تعالى خلقنا وخلق هذا العالم الذي يحتوينا، لكنهم يتغافلون عن هذه الحقائق، فالأهم من رؤية الأشياء، التفكير فيها بعد رؤيتها، أما إذا كان الإنسان سيرى ما حوله، ثم يغمض عينيه كأن لم ير شيئًا، فلا جدوى من هذه الرؤية، وهؤلاء كذلك، يبصرون لكنهم لا يتعظون بما تبصره أعينهم، و لذلك كانوا من المتغافلين، فالتغافل هو: " تعمد الغفلة "[2]، وكل ذلك يؤدي إلى انطماس العقل، واستغلاق القلب، واندثار المدارك .

ولم يكن الخطاب موجهًا للمتغافلين فقط، و إنما خاطب أيضًا الذين لا يـذكرون فضـل الله عليهم، ويتجاهلونه، وذلك في صيغة استفهام " أفلا تذكرون "، أو جملة اسمية منسوخة بحرف : " لعلكم تذكرون "، " إن في ذلك لآيات لقوم يذكرون "، ونسيان المرء لله الذي خلقه، وأنعم عليه، وزوده بكل ما يحتاجه، وقيض له حياة كريمة، منتهى النكران وغاية الجحود، " و الحفظ للشيء تذكره "[2]، ومن لا يحفظ فضل الله عليه لا خير فيه .

5. أسماء الله الحسنى :

وأسماء الله الواردة في خاتمة بعض الآيات الكونية و الإنسانية، جاءت تأكيدًا لمضمون الصدر في تلك الآيات، و لم ترد ــ حاشى لله ــ عبثًا أو جزافًا أو من قبيل الحشو، فكل حرف في كتاب الله له معنى و له غاية، و كل كلمة فيه تخدم السياق الذي وردت فيه .

و يعرف هذا النوع من المناسبة بمناسبة ختم الآية بأسماء الله الحسنى [3]، و الحديث عن هذا الجانب قد يطول، وجل ما يهمنا في هذا الموضوع، مناسبة أسماء الله الحسنى لخاتمة لبعض الآيات الكونية والإنسانية، وليس من الضروري استعراض أسماء الله الحسنى التي جاءت فواصل في القرآن الكريم، و إنما سنصب جل اهتمامنا على أسماء الله الحسنى، التي وردت في خاتمة الآيات التي يشتمل عليها البحث فقط .

---

1. **لسان العرب**، مادة (غفل) .
2. المصدر السابق، مادة(ذكر).
3. **علم المناسبات في السور و الآيات**، ط1، المكتبة المكية 2002 ،ص 23.

وإذا استعرضنا الآيات الكونية والإنسانية، وجدنا أكثر أسماء الله الحسنى، تكرارًا في خاتمتها (القدير)، وغالبًا ما كانت جملة الخاتمة على النحو الآتي : " والله على كل شيء قدير " ، أو " وهو على كل شيء قدير "،" إنه على كل شيء قدير " .

ولا غرو في أن يتكرر هذا الاسم بالذات، فهو يحمل دلالته في ذاته، ولا حاجة بنا لشـــرحه، ومن الطبيعي أن يتكرر دون غيره، لأن الآيات الكونية والإنسانية تضمنت جوانـــب قـــدرة الله تعالى، في خلق الكون و خلق الإنسان، وفيما نرى أن ختم الآية بهذا الاسم بالـــذات إيقـــاظ و تنبيه، لأن أكثر ما يعلق في الذهن عادة آخر الكلام، وأنت أيها القارئ الذي مرّ عن آيات كونية وإنسانية ــ تدل دلالة قاطعة على قدرة الله تعالى ــ دون أن يهتز لك جفن، ربما تهزك خاتمـــة هذه الآية، و يتشبث في وعيك ما تضمنته، فتعيد النظر في الآية مجددًا ويلفتك معناها .

ولسنا الآن في صدد ذكر المرات التي جاء فيها لفظ القـــدير خاتمـــة للآيـــات الكونيـــة و الإنسانية، لكن من اللافت أن لفظ القدير ــ في الأعم الأغلب ــ لا يرد في خاتمة الآيات الكونية و الإنسانية كلها، بمعنى أن هذا اللفظ لم يأت خاتمة إلا لظواهر كونية و إنسانية محددة، و هـــذه الظواهر تعد الأكثر إعجازًا ، وهي :

1. خلق السماوات و الأرض .
2. إحياء الأرض بعد موتها .
3. خلق الإنسان و بعثه .

أما الأسماء الأخرى التي وردت في جملة الخاتمة، فكانت معدودة، ولم تشتمل على أسماء الله كاملة، وإنما جاءت ضمن ما يتطلبه السياق، ويقتضيه المعنى، كالعزيز، الحكيم ، الخبير، الغفار، وكل هذه الأسماء كانت متناسبة مع مضامين الآيات كما سبق وقلنا، ممّا زاد تأكيد المعنى، وأضفى على التركيب قوة .

و أخيرًا لا بدّ من الإشارة إلى أن هناك بعض الآيات الكونية و الإنسانية[1]، التي كانت عبارة عن جملة واحدة، بمعنى أنها لم تكن تشتمل على جملة خاتمة و قد يكون السبب في ذلك قصر الآية، لذلك لم تدرج ضمن هذا البحث .

---

1. سورة نوح : الآيات : 11 ــ 20، سورة عم : الآيات : 6 ــ 16، سورة المرسلات : الآيات : 25 ــ 26، سورة النازعات : الآيات : 27 ــ 32، سورة عبس : الآيات : 25 ــ 32، سورة الطارق : الآيات : 5 ــ 7، سورة الشمس : الآيات : 1 ــ 7 .

الفصل الأول

الآيات الكونية و الإنسانية مرتبة حسب السور القرآنية

الآيات الكونية والإنسانية في القرآن الكريم :

سورة البقرة :

* يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (22) .

* كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (28) هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (29) .

* فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آَيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (73) .

* إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (164) .

سورة آل عمران :

* هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (6) .

* تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ

الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (27) .

* "وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (189) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآَيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191) .

سورة الأنعام :

* الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (1) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ (2) وَهُوَ اللَّهُ في السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (3) .

* وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (13) .

* وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (60) .

* وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (73) .

* "إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ

فَأَنَّىتُؤْفَكُونَ (95) فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (96) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (97) وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (98) وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ "(99) .

سورة الأعراف :

* إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (54) .

* وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (57) .

* أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (185) .

سورة يونس :

* هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (5) إِنَّ فِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ(6) .

* إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (24) .

* قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ(31) .

* قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (34).

* هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ(67) .

* قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ (101) .

سورة الرعد :

* اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ

يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (2) وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (3) وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (4) .

* قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (16) .

سورة إبراهيم :

* اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (32) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (33) وَآَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (34) .

سورة النحل :

* "خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (3) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُو

خَصِيمٌ مُبِينٌ (4) وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (5) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ

حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (6) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ

رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (7) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (8)

وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ .السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (9) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ

السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (10) يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ

وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (11) وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ

وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (12) وَمَا

ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (13) وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ

لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ

فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (14) وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ

تَهْتَدُونَ (15) وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (16) أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (17) .

* وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ (52) .

* وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (65)

وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا

لِلشَّارِبِينَ (66) وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً

لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (67) وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (68) ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (69) .

* وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (78) أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (79) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا ت َسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ (80) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (81) .

الاسراء :

* أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا (99) .

سورة طه :

* الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّىٰ (53) كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَىٰ (54) .

سورة الأنبياء :

* أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (30) وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (31) وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آَيَاتِهَا مُعْرِضُونَ (32) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (33) .

سورة الحج :

* يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (5) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (6) .

* ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ(61) ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (62) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (63) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (64) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي

الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (65) وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ(67) .

سورة المؤمنون :

* ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14) .

* وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ (18) فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (19) .

* وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (21) .

* وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصر والأفئدة قليلا ما تشكرون(78) .وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (79) وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (80).

سورة النور :

* يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ (44) وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ۖ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (45) .

سورة الفرقان :

*أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا (45)

ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا(46)وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ

نُشُورًا(47)وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا(48)

لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا(49)

*وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا

مَحْجُورًا(**53**) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا (54) .

الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ الرَّحْمَـٰنُ

فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا(59)

* تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا (61) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ

اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا (62) .

سورة الشعراء :

* أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (7) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ

مُؤْمِنِينَ (8) .

* قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (24) .

* قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (28) .

سورة النمل :

* أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (60) أَمَّنْ جَعَلَ الأرضَ قَرَاراً وجَعَلَ خِلالَها أنهَاراً وجعلَ لَها رَواسِيَ و جَعَلَ بين البَحرَينِ حاجِزاً أءِلَهٌ مع اللّه بل أكثَرُهم لا يَعلَمون(61) يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (62) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (63) أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (64) .

* أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (86) .

* وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (88) .

سورة القصص :

* قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (71) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ

يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (72) وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (73) .

سورة العنكبوت :

* أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (19) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآَخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (20) .

* خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ (44) .

* وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (60) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (61) اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (62) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (63) .

سورة الروم :

* أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ (8) .

* يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ

(19) وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ (20) وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (21) وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ (22) وَمِنْ آَيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (23) وَمِنْ آَيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (24) .

* أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (37) .

* اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (40) .

* وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (46) .

* فَانْظُرْ إِلَى آَثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (50).

* اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ (54) .

سورة لقمان :

* أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (29) .

* أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آَيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (31) .

سورة السجدة :

* اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (4) .

* الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (7) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (8) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (9) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ (27) .

سورة سبأ :

* يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (2) .

سورة فاطر :

* يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (3) .

* وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (11) وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (12) يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (13) .

* أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (27) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (28) .

سورة يس :

* وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (33) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (34) لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ

(35) سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (36)

وَآَيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (37) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (38) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (39) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (40) .

* أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (71) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (72) وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (73) .

* أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (77) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (80) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (81) .

سورة الزمر :

* خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (5) خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (6) .

* أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ

ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ (21) .

* اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ

وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (42) .

* أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (52) .

* لخلق السموت والأرض أكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس لا يعلمون (57) .

* اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (62) .

سورة غافر :

* هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آَيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ (13) .

* لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (57) .

* اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ

أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (61) ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (62) .

* هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ

لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (67) هُوَ الَّذِي

يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (68) .

* الله الَّذِي جعل لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (79) ولكم فيها منفع ولتبلغوا عليها

حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون(80) .

سورة فصّلت :

* وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ (10) .

* فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (12).

* وَمِنْ آَيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (37) .

* وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (39).

سورة الشورى :

* فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (11) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (12) .

* وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ (28) وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ (29) .

* إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (33) .

الزخرف :

* وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (9) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (10) وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (11) وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (12) .

* وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (87) .

سورة الدخان :

* رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (7) لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آَبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (8) .

سورة الجاثية :

* إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآَيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ (3) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آَيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (4) وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آَيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (5) .

* اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (12)

وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (13).

* قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ . (26)

سورة الأحقاف :

* أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى

بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (33) .

سورة ق :

* أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (6) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا

وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (7) تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (8)

وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (9) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ

نَضِيدٌ (10).

سورة الذاريات :

* وَفِي الْأَرْضِ آَيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (20) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (21) .

* وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (47) وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ (48) وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ

خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (49) .

سورة الطور :

* أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (35) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَا يُوقِنُونَ (36) .

سورة الحديد :

* لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (2) هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآَخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (3) هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (4) لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (5) يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (6)

* اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآَيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (17) .

سورة التغابن :

* خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (3) .

سورة الطلاق :

* اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (12) .

سورة الملك :

* هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (15)

* أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ (19)

* قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (23) قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (24)

المرسلات :

* وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا (27)

الغاشية :

* أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20) .

صدق الله العظيم

الفصل الثاني

دراسة دلالية لجملة الخاتمة

* تقديم .

* تناسب الخاتمة مع المعنى العام .

* بين الاسمية و الفعلية .

* قيام صيغة مقام أخرى .

تقديم :

تعد الدراسة الدلالية لجمل الخواتيم دراسة بالغة الأهمية فائقة المكانة، فالآية دائما تختتم بما يتلاءم مع مضمونها، ويتناسب مع صدرها، وبالتالي ندرك الترابط القائم بين أجزاء الآيـــة، ونتذوق إعجاز القرآن الكريم، فحين ندرس الجانب الدلالي للآية، ثم نتبعة بدراسة دلالية مستوفاة لجملة الخاتمة، يستوقفنا ذلك الترابط العجيب، و التناسب اللافت بينهما، وربما يظــنّ ظـــانّ أن محور الدراسة هوالفاصلة القرآنية، التي كثرت الدراسات حولها وتنوّعت، إلا أن هنـــاك فرقـــاً كبيراً، وبوناً شاسعاً بين الفاصلة القرآنية وموضوع البحث .

فالفاصلة القرآنية كما قال الزركشي:" كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينـــة الشـــعر".[1]، وقال أبي عمرو الداني:" الفاصلة كلمة آخر الجملة".[2]، وعرّفها ابن منظور:" أواخر الآيات فـــي كتاب الله فواصل بمنزلة قوافي الشعر جلّ كتاب الله عز وجلّ وواحدتها فاصلة". [3]

أما موضوع دراستنا في هذا الفصل، فهو دراسة علاقة الجملة في خاتمة الآيات الكونيـــة والإنسانية بالجملة في صدر الآية، و مدى الترابط بينهما وهذا ما يعرف بعلم المناسبات، و قبـــل الشروع بالدراسة الدلالية لجمل الخواتيم، لا بد من التطرق إلى علم المناسبات، ولو بنبذة قصيرة تعيننا على فهم أسسه، فما هو هذا العلم؟ ، وما أنواعه ؟ ، وما هي أهميته ؟ .

المناسبة في اللغة : مصدر من ناسب يناسب مناسبة، ومادة (ن،س،ب): تدور حول معنى اتصال شيء بشيء . ومنه النسب، سمي لاتصاله واتصال به . ". [4] أما المناسبة في القرآن الكريم : "علل ترتيب أجزائه بعضها ببعض " [5] إذاً؛ فالمناسبة علم جليل ليس لأي

1. الزركشي،محمد: **البرهان في علوم القرآن**، ط1،دار إحياء الكتب العربية بمصر 1957_1،،1958/53 .
2. المصدر السابق 53.1/
3. ابن منظور: **لسان العرب**. مادة (فصل) .
4. ابن فارس ، أحمد : **مقاييس اللغة** . ط1 ، تحقيق عبد السلام محمد هارون . طهران : دار إحياء الكتب العلمية 1396 هـــ 5 /423 .
5. البقاعي ، إبراهيم بن عمر : **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** . تحقيق عبد الرزاق غالب المهدي . بيروت : دار الكتب العلمية 1995 م د. ت 5/1.

كان أن يتقنه، أو يجيد فنونه، فهو يرمي إلى ربط أجزاءالكلام بعضها ببعض، مما يجعلها سلسلة متصلة، تتلاءم حلقاتها وتترابط بشكل منظّم ودقيق، وهي إن دلّت على شيء فإنما تدلّ على براعة الكاتب، وعلوّ قدره ومكانته وتفوقه على غيره، يقول الزركشي :"اعلم أن المناسبة علم شريف تحرز به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذ بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء." [1]

أنواعه :

أما الحديث عن أنواع المناسبات فطويل، لذلك كان لا بد من الإشارة إلى هذه الأنواع دون الاستفاضة في الحديث عنها، وعرض أمثلة عليها، والمناسبات في القرآن الكريم نوعان: داخلية وخارجية، أما الداخلية : فهي ما كانت محصورة في إطار الآية الواحدة أو السورة الواحدة، بمعنى أن هذا النوع من المناسبات لا يتجاوز السورة، فعلاقة التناسب تظل محصورة داخلها، مرتبطة بعلاقة آياتها بعضها ببعض، و لهذا النوع أشكال متعددة ، منها ما يتلمّس التناسب بين ترتيب آيات السورة الواحدة ، واعتلاق بعضها ببعض، ومدى ارتباطها وتلاحمها واتساقها معًا، ومنها ما يبحث العلاقة التناسبية بين مطلع السورة والمقصد الذي سيقت له ، ومنها ما يتناول مدى تناسق خاتمة السورة مع مطلعها، ونوع أخير ــ وهو ما يهمنا في هذا الفصل ــ يتناول تناسب خاتمة الآية مع مضمونها، أما النوع الثاني من المناسبات، وهو المناسبات الخارجية، فهو يبحث في علاقة السور بعضها ببعض، بحيث لا يكون محصوراً في سورة واحدة، وهو بذلك يكون أعمّ وأشمل من النوع الأول، و للمناسبة الخارجية أشكال متعددة أيضًا وصور مختلفة ، فمنها ما يهتم بتناسب السور لما قبلها وما بعدها، ومنها ما يتلمس مدى تناسق خاتمة السورة لمطلع السورة التي بعدها، ونوع أخير يركز على مناسبة مطلع السورة لمطلع السورة التي تليها، وهناك نوع يدخل في القسمين، فلا ينظر فيه إلى سورة بمفردها مع سورة أخرى، ولا إلى آية بمفردها مع آية أخرى، وهو مناسبة موضوع مجموعة من السور لمجموعة أخرى من السور، ومناسبة موضوع مقطع من الآيات في السورة لمقطع آخر.[2]

1.الزركشي، **البرهان في علوم القرآن** 1/ 3

2. ينظر ، بازمول ، محمد : **علم المناسبات في السور و الآيات**، ص28ــ ص29.

ونستنتج مما سبق أن التناسب في القرآن الكريم بشتى أنواعه ً يعدّ دليلا واضحا ً على إعجاز هذا الكتاب الذي تناسقت أجزاؤه و اتصل بعضها ببعض اتصالًا وثيقًا، وهذا دليل قاطع على أن هذا الكتاب نزل من لدن عظيم حكيم، يقول الرازي: "من تأمل لطائف نظم هذه السور في بدائع ترتيبها، علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه، وشرف معانيه، فهو أيضا معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين قالوا إنه معجز بحسب أسلوبه أرادوا به ذلك." [1]

وليس من عاقل يغفل أهمية التناسب في النص المكتوب، فهو عنصر مهم من عناصر تكامل هذا النص، ممّا يجعل القارئ يشعر بلذة حقيقية تكمن في ذلك الترابط اللافت بين أجزاء النص وعناصره، وهذا ما يعين العقل على الفهم والاستيعاب بشكل جيد لا لبس فيه، فالتناسب يجعل المرء قادرا ً على هضم النص، فكل حرف فيه يدعم أخاه، وكل كلمة فيه تشد أزر الأخرى، وكل معنى فيه يقف مع الآخر جنبا ً إلى جنب، مما يدعم الفكرة ويجعلها أكثر رسوخا في ذهن المتلقي، ويعدّ كتاب الله المثل الأعلى الذي يحتذى ويستقى منه ويحتج به، ففيه تناسب واضح بين الآيات لا سيما خاتمة الآية وصدرها، فمضامين الآيات فيه تتلاءم وتتناسق وتتناسب بشكل أو بآخر مع خاتمتها وهنا وبكل وضوح يظهر لنا جانب عظيم من جوانب إعجاز القرآن .

- **تناسب الخاتمة مع المعنى العام :**

لا بدّ من الإشارة إلى أن هناك تلاؤماً واضحاً بين جملة الخاتمة في الآيات الكونية و الإنسانية ومضمونها، حيث نجد الجملة في الخاتمة تناسبت مع المعنى العام للآية، ممّا يجعل القارئ مطمئنًا، وذلك لما في الآية من انسجام وتآلف في المعنى، فكل كلمة في جملة الخاتمة وضعت في مكانها الصحيح، بحيث لا تجد تنافرًا في المعنى بين هذه الكلمات، يقول توماس إليوت:" إن الكلمات القبيحة هي الكلمات التي لا تجد مكانًا ملائمًا لها بين أخواتها" [2] ، وهذا الكلام ينطبق على الكلمة لفظًا ومعنًى، وخاتمة الآيات الكونية تحوي ألفاظًا متناسقة منسجمة انسجامًا داخليًا، يتعلق بعلاقة الألفاظ بعضها ببعض داخل جملة الخاتمة، وانسجامًا خارجيًا يتمثل في مناسبتها لمعنى الصدر في الآية .

---

1. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر : **التفسير الكبير** . ط2 ، طهران: دار الكتب العلمية د. ت . 128/7.
2. هلال، محمد غنيمي: **النقد الأدبي الحديث**،ط4،دار النهضة العربية، القاهرة 1969م،ص 39.

وإذا تتبعنا قوله تعالى:" يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ" [1] ،سنجد تناسب المعنى في الخاتمة مع المعنى في الصدر واضحًا، ففي الآية الأولى خاطبت جملة الخاتمة الفكر،والفَكر والفِكر :" إعمال الخاطر في الشيء، والتفكر عند الجوهري:التأمل" [2] ، ولا غرو في ذلك وقد كان صدر الآية مشتملًا على ظواهر لا تحتاج من المرء أكثر من لحظة تأمل فقط، لأنها أمور ظاهرة فالزرع والنبات والشجر حاضر في كل مكان ظاهر لكل متأمل، وإدراك العظمة في تكوينه لا يتطلب أكثر من التفكروالتأمل، دون إغراق العقل في متاهات .

في حين كان الخطاب موجّهًا للعقل في الآية الثانية، والعَقل :" الحجر والنهى ، وهو ضد الحمق، وعَقَلَ فهو عاقل وعقول من قوم عقلاء، ورجل عاقل هو الجامع لأمره ورأيه، وسمي العقل عقلاً لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك، أي يحتبسه " [3] ، ولا غرو في أن تكون جملة الخاتمة مخاطبة العقل، وهو مركز التفكير، والظواهر الكونية الواردة في صدر الآية، والمتمثلة في حركة الأجرام السماوية بانتظام ودقة، وفق ناموس لا يختل فيه النظام و لا يفتر، أمور تحتاج إلى إعمال العقل، فهي أكثر تعقيدًا من نمو الزرع و تحرك الشجر، لأنها تختص بأشياء تتطلب جهدًا فكريًا أكبر، و بالتالي جاءت الجملة في الخاتمة تحض على استخدام العقل، لأنه بالضرورة سيقود صاحبه إلى توحيد الخالق عز وجل، فليس من المعقول أن تكون هذه الحركة الدقيقة للأجرام السماوية، وهذا التعاقب المنتظم لليل والنهار، إلا أمورًا ربّانية لا يقدر عليها البشر .

وتجدر الإشارة إلى أن جملة الخاتمة في الآيات السابقة، جاءت مؤكدة بمؤكدين هما إنّ و اللام، وكما هو معلوم، فإن الخبر الإنكاري ما جاء مؤكدًا بأكثر من أداة توكيد، إلا أن هذا التوكيد في جمل الخاتمة لم يقتصر على دلالته الأصلية، وإنما خرج عنها ليفيد معنى التذكير والتنبيه، وذلك لأن الخبر المؤكد يكون أكثر جذبًا للانتباه، وبالتالي فإن القارئ لهذه الآيات سيتنبه إلى ضرورة التفكر والتأمل في المظاهر الكونية من حوله، والغافل والمتغافل عن هذه الأفعال قد يلتفت إليها .

---

1. سورة النحل : الآيات : 11ـ 12.
2 . ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (فكر) .
3. المصدر السابق، مادة (عقل) .

ومخاطبة الأسماع في جملة الخاتمة في قوله تعالى:" قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ" [1] ، أبلغ وأقوى وأكثر تأدية للمعنى المراد، ففي هذه الآية يذكّر الله الإنسان بنعمة التعاقب بين الليل والنهار، ويتركه في خلوة مع ذاته ليتخيل هذا العالم بلا نهار، يسوده الليل ويغطيه الظلام، فلا ضياء ولا نور، ولأن الظرف ليلي لا يتناسب مع الرؤية والإبصار، إضافة إلى أن حاسة السمع تكون أقوى ليلاً، بفعل الهدوء السائد والسكينة الطاغية، فقد ختم سبحانه وتعالى هذه الآية بمخاطبة السمع، الذي هو أنفذ ليلًا، يقول الزركشي:"اقتضت البلاغة أن يقول (أفلا تسمعون)، لمناسبة ما بين السماع والظرف الليلي الذي يصلح للاستماع، ولا يصلح للإبصار" [2].

أمّا في قوله تعالى: " قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ [3] ،فقد كانت مخاطبة البصر في جملة الخاتمة أبلغ، وذلك لأن الرؤية تكون واضحة في النهار، وبفعل الضوضاء والحركة المستمرة، يكون السمع أضعف، وبالتالي فقد كان توجيه الخطاب للمبصرين، تلبية واستجابة لما جاء به المعنى في صدر الآية، وممّا تجدر الإشارة إليه أن الجملة في الخاتمة جاءت استفهامية تفيد الإنكار و التوبيخ، فعدم القيام بالفعل المذكور، أمرٌ مستهجن في حال كانت القرائن واضحة، والحقائق بينة .

ومن الأمثلة الأخرى على التناسب المعنوي بين جملة الخاتمة و جملة الصدر، قوله تعالى:" وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا [4] ، فإذا تمعنّا في جملة الخاتمة وجدنا مفرداتها تنسجم مع المعنى العام للآية، حيث اشتمل الصدر على ظاهرة إنسانية خارقة، تتمثل في خلق الإنسان، "وخَلَقَه يخلقه خَلْقًا، أوجده بعد أن لم يكن موجودًا [5] ، و الإيجاد من عدم منتهى القدرة وتمامها، و بالتالي كان لا بدّ من مجيء الخاتمة بالشكل الذي جاءت عليه، واللافت أن لفظ (قدير) جاء على صيغة فعيل للمبالغة في وصف الله تعالى بكمال القدرة، والقدير هو التام القدرة، بينما لم تأت الصيغة على فاعل (قادر)، لأن فعيل أبلغ،

---

1. سورة القصص : الآية : 71 .
2. ، الزركشي: **البرهان في علوم القرآن** "1/ 82.
3. سورة القصص : الآية : 72.
4. سورة الفرقان : الآية : 54 .
5. ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (خلق).

إضافة إلى أن الحروف في لفظ قدير أوحت بالمعنى، وهذا يتلاءم مع ما جاء به يحيى جبر حين قال: "لكل صوت من أصوات العربية معنى يسهم به مع غيره في توجيه دلالة الجذر الذي يشترك فيه، وأن هذه الأصوات لا تدل على معانيها بطريقة عفوية، أو اصطلاحية تواضع عليها الناس، ولكن التعبير عنها يتمّ بموجات تدرك بالسمع فالدماغ [1] ، لا سيما أن اللفظ جاء منصوبًا منتهيًا بألف تمتد و يمتد معها النَّفَس والفكر، والراء التكرارية الواقعة بين حرفي مدّ، بحيث كان المعنى يمتد في الذهن، مع إفادة تكراره واستمراريته، لأن قدرة الله دائمة لا تنقطع، و لنلحظ لفظ (ربّك) في جملة الخاتمة كيف جاء متناسقًا مع معنى القدرة،" فالرب: هو اللّه عزّ وجلّ، هو رَبُّ كلِّ شيءٍ أَي مالكُه، وله الرُّبوبيَّة على جميع الخَلْق، لا شريك له، وهو رَبُّ الأَرْبابِ، ومالِكُ المُلوكِ والأَمْلاكِ. ولا يقال الربُّ في غَيرِ اللّهِ، إِلاّ بالإِضافةِ" [2] ، وبالتالي تلاءمت المفردات في جملة الخاتمة فيما بينها، وفي الوقت ذاته ناسبت معنى الصدر في الآية، يقول الرافعي:" تختلف الألفاظ ولا تراها إلا متفقة، وتفترق ولا تراها إلا مجتمعة، وتذهب في طبقات البيان وتنتقل في منازل البلاغة، وأنت لا تعرف منها إلا روحًا تداخلك بالطرب، وتشرب في قلبك الروعة". [3]

ومن الأمثلة الأخرى على التناسب المعنوي، قوله تعالى:"أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آَيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ" [4] ، فالله تعالى يمن على عباده، و يذكرهم بنعمته عليهم حيث يجري لهم الفلك في البحر بأمره،و بمشيئته وحفظه، فجاءت الخاتمة متضمنة معنى الشكر و العرفان لله تعالى، جاء في لسان العرب:" الشُّكْرُ: عِرْفانُ الإِحسان ونَشْرُه، وهو الشُّكُورُ أَيضاً . قال ثعلب: الشُّكْرُ لا يكون إِلاَّ عن يَدٍ، والحَمْدُ يكون عن يد وعن غير يد، فهذا الفرق بينهما، والشُّكْرُ من الله: المجازاة والثناء الجميل، شَكَرَهُ و شَكَرَ له يَشْكُرُ شُكْراً وشُكُوراً وشُكْراناً." [5] ، ومما يلفت أن لفظ شَكور، جاء على فَعول بدلًا من فاعل (شاكر) وذلك أبلغ، إضافة إلى أن شكور التي هي للمبالغة، تناسبت مع (صبّار) التي هي صيغة مبالغة أيضًا على وزن (فعّال) .

1.جبر، يحيى: **نحو دراسات وأبعاد لغوية جديدة**، نابلس، لامط160.

2. **لسان العرب**، مادة (رب) .

3. الرافعي ،مصطفى صادق: **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، ط4، بيروت، دار الكتاب العربي،1974م، ص240،ص241.

4. سورة لقمان : الآية : 31 .

5. **لسان العرب**، مادة (شكر) .

وإذا تتبعنا قوله تعالى:" وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ *وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ * وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ [1]، وجدنا جملة الخاتمة في الآيات كلها واحدة باستثناء فاصلة كل آية، حيث كانت فواصل الآيات تختلف باختلاف المعنى الذي نصّت عليه الجملة في الصدر .

ففي الآية الأولى كان الحديث عن علم النجوم وحسابها و كيفية الاهتداء بها، وهذا أمر لا يدركه إلا العالم، و بالتالي جاءت الفاصلة مخاطبة الذين يعلمون، في حين خاطبت الفاصلة في الآية الثانية الذين يفقهون، و "الفقه العلم بالشيء والفهمُ له[2]، و هو أيضًا فهم الأشياء الدقيقة، والآية تتحدث عن الإيجاد و الخلق، و التكوين من عدم، و هذه أمور دقيقة تحتاج تفكّرًا أدقّ و أعمق من غيرها، بينما جاءت الفاصلة في الآية الثالثة مخاطبة للمؤمنين، و هذا أمر بدهي، لأن من يمر على الآيتين الأولى و الثانية، تترسخ في ذهنه حقيقة وجود الله، و حين يقرأ الآية الثالثة تستقر هذه الحقيقة في قلبه، لأن الإيمان: " التصديق مطلقًا والاعتقاد بالله ورسله ووحيه و هو نقيض الكفر، وقيل الإيمان الاعتقاد بالقلب".[3]

وتستوقفنا جملة الخاتمة في قوله تعالى:" هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [4]، لأن الآية تتحدث عن خلق السماوات والأرض، وهذا تمام القدرة، إلا أن الآية لم تختتم بالقدرة، وإنما جاءت فاصلتها (عليم) وهي صيغة مبالغة، للدلالة على كمال علم الله وتمامه، وهي بمعنى عالم، أي فعيل بمعنى فاعل، والسبب في ختم الآية بهذه الصفة كما يقول السيوطي :" أنها تضمنت الإخبار عن خلق الأرض، وما فيها على حسب حاجات أهلها ومنافعهم ومصالحهم، وخلق السماوات

---

1. سورة الأنعام : الآيات : 97 ــ 99.

2. **لسان العرب** ، مادة (فقه) .

3.المصدر السابق، مادة (أمن) .

4. سورة البقرة : الآية : 29 .

خلقًا مستويًا محكمًا من غير تفاوت، و الخالق على الوصف المذكور يجب أن يكون عالمًا بما فعله كليًا وجزئيًا، مجملًا ومفصلًا". [1]

و من الأمثلة الأخرى على ذلك التناسب قوله تعالى:" إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآَيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ *وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آَيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ[2]، فقد خاطب الله تعالى المؤمنين، لأن خلق السماوات و الأرض من الأمور العظيمة التي تدل على قدرة الله، و تحتاج إلى طول نظر و تفكر، و مَن تبصر فيها أدرك أن لهذا الكون خالقًا مبدعًا، و بالتالي ستستقر فكرة الإيمان في قلبه، فالتأمل يولد الإيمان، لذلك خاطبت الآية المؤمنين .

أمّا الآية الثانية فقد كان الخطاب فيها موجهًا للموقنين، وذلك أكثر تناسبًا مع المعنى العام، فقد جاء في لسان العرب قولهم : "اليقين : إزاحة الشك، والعلم الحاصل عن نظر واستدلال، و قيل اليقين : الموت [3]، و يرى الزركشي أن المجيء بهذه الخاتمة يعود إلى "أن خلق الإنسان وتدبر خلق الحيوان يثبث في القلب المعتقد الأول، الذي تشكل لدى المرء بفعل تأمله خلق السماوات و الأرض، ولذلك في هذه الآية لا بد من أن يتجاوز المرء مرحلة الإيمان إلى اليقين" [4] .

وتلفتنا جملة الخاتمة في قوله تعالى:" أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ [5]، حيث جاءت استفهامية أفادت الإنكار و التوبيخ و التعجب في آن، فمن لم يدفعه خلق السماوات و الأرض للإيمان، فليس هناك ما يمكن أن يدفعه إلى ذلك، و بالتالي جاءت الخاتمة موفقة، تنسجم مع المعنى الذي جاءت به الجملة في الصدر .

وفي قوله تعالى:" أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ

---

1. **الإتقان في علوم القرآن** 308/3 .
2. سورة الجاثية : الآيات : 3 ــ 4 .
3. **لسان العرب**، مادة (يقن) .
4. **البرهان في علوم القرآن** ، 83/1 .
5 . سورة الأعراف : الآية : 185.

رَحْمَتِهِ أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ" [1]، تستوقفنا جملة الخاتمة لا بمعناها فقط، بل بكلماتها وحروفها التي تتآلف معًا لتشي بالمعنى المراد، فالآية تتضمن نعم الله على عباده، و تحمل سؤالًا يضيق به فضاء الكون، فمن المنطقي أن يكون الشكر مقابلًا لها بدلًا من الشرك، لأن "الشِّرْكُ: أَن تجعل لله شريكاً في رُبوبيته، وإِنما دخلت التاء في قوله لا تشرك بالله لأن معناه لا تَعْدِلْ به غيره فتجعله شريكاً له، وكذلك قوله تعالى: وأَن تُشْرِكوا بالله ما لم يُنَزِّل به سُلْطاناً؛ لأن معناه عَدَلُوا به، ومن عَدَلَ به شيئاً من خَلْقه فهو كافرٌ مُشْرِك، لأن الله وحده لا شريكَ له ولا نِدَّ له ولا نَديد، و أَشرك بالله جعل له شَريكاً في ملكه، والاسم الشِّرْكُ[2] .

وقد جاء الفعل (يشركون)، مؤديًا للمعنى المراد سواء في دلالته الأصلية، أودلالة حروفه، فالشين تدل على التفشي و الانتشار، و كأن هذا الشرك لا يقطن في قلوبهم و عقولهم فقط، بل إنه تجاوز ذلك ليحتل كل جزء منهم، بل يطال تصرفاتهم وأفعالهم، إضافة إلى هذه الراء التي توحي بالتكرار والاستمرار، فهم مستمرون في شركهم دائبون عليه، وأيضًا صيغة الفعل جاءت مضارعة توحي أيضًا بالاستمرارية و الدوام، أمّا كلمة (تعالى)، والتي تفيد تنزيه الله وترفعه عمّا يقولون ويصفون، فنلحظ أن أكثر حروفها بروزًا هو(العين)، والعين يدل على العلو و الارتفاع، فكل ما يبدأ بالعين دلّ على ذلك، نقول: علم، عِنان، عمامة، و لذلك نجد هذا اللفظ (تعالى) قد حمل معناه بداخله .

وجملة الخاتمة في قوله تعالى:" وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ [3]، جملة اسمية مؤكدة بإنّ واللام، ولهذا التأكيد أثر في الذات، وصدى في الذهن، يحث على التفكر، ويحض على ضرورة التأمل في هذه المظاهر، إضافة إلى أن الفعل (يتفكرون)جاء على وزن يتفعّلون لإفادة المبالغة "والحروف إذا طالت كميتها(شددت)، دلّت إمّا على تعدد المقاطع أوالوقف" [4]، وهنا ازداد عدد المقاطع بفعل التشديد، وكل زيادة في المبنى تؤدي إلى زيادة في المعنى بالضرورة، وبالتالي الزيادة هنا أفادت المبالغة .

---

1. سورة النمل : الآية : 63 .
2. **لسان العرب**، مادة (شرك) .
3. سورة الروم : الآية : 21 .
4. حسان، تمام: **اللغة العربية معناها ومبناها**. د.ط. مطابع الهيئة العامّة للكتاب. 1973م ص71 .

ونلحظ أن المظاهر الإنسانية الواردة في جملة الصدر، أمور تحتاج إلى عمق تفكر وتأمل، وهي آيات تنبه العقول الغافلة، لذلك كان لا بد من الدعوة إلى التفكر فيها في جملة الخاتمة، وممّا نلحظه أن الفعل يتفكرون مضارع يفيد الاستمرارية، لأن هذا التفكر يجب أن يظل دائمًا، في كل وقت و حين، حتى يظل القلب متقيظًا، إضافة إلى أن صيغة تفعّل تفيد المبالغة، والمراد أن يكون هذا التفكر عميقًا طويلًا غير سطحي ولا لحظي .

وفي قوله تعالى:" أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ [1]، نجد جملة الخاتمة إجابة عن سؤال مطروح في أول الآية، و حرف الجواب بلى جاء في مكانه، فهذه الألف المقصورة يمتد معها الصوت، ممّا يخلف في النفس صوتًا يردده رجع صداه، فهذه الإجابة تهتز لها القلوب، أمّا لفظ الخلّاق، فهو مبالغة لاسم الفاعل، لكن مجيئها على فعّال أبلغ، والخلّاق: "هو الله تعالى وتقدَّس الخالِقُ والخَلاَّقُ، وفي التنزيل: هو الله الخالِق البارئ المصوِّر؛ وفيه: بلى وهو الخَلاَّق العَليم؛ وإنما قُدّم أَوّل وَهْلة لأَنه من أَسماء الله جل وعز. الأَزهري: ومن صفات الله تعالى الخالق والخلاَّق ولا تجوز هذه الصفة بالأَلف واللام لغير الله عز وجل[2] .

أمّا لفظ العليم، فهو أيضًا للمبالغة جاء على فعيل بدلًا من فاعل، جاء في لسان العرب العليم:" من صفات الله عز وجل العَلِيم والعالِمُ والعَلاَّمُ؛ قال الله عز وجل: و هو الخَلاَّقُ العَلِيمُ، وقال:عالِمُ الغَيْبِ والشَّهادةِ، وقال: عَلاَّم الغُيوب، فهو اللهُ العالمُ بما كان وما يكونُ قَبْلَ كَوْنِه، وبِمَا يكونُ ولَمَّا يكُنْ بعْدُ قَبْل أن يكون، لم يَزَل عالِماً ولا يَزالُ عالماً بما كان وما يكون، ولا يخفى عليه خافيةٌ في الأرض ولا في السماء سبحانه وتعالى، أحاطَ عِلْمُه بجميع الأشياء باطِنِها وظاهرِها دقيقِها وجليلِها على أتمّ الإمْكان، وعَليمٌ، فَعِيلٌ: من أبنية المبالغة [3] .

وبذلك تكون الكلمات في جملة الخاتمة قد انسجمت فيما بينها، و شكّلت معًا معنى يتناسب مع معنى الصدر في الآية، حيث تضمن مظاهر قدرة الله عزّ و جلّ في خلق الكون، فجاءت الخاتمة مؤكدة لذلك المعنى، متسقة معه .

---

1. سورة يس: الآية : 81.
2. **لسان العرب**، مادة (خلق).
3. المصدر السابق، مادة(علم).

ومثال أخير نختم به حديثنا عن التناسب المعنوي بين جملة الخاتمة وجملة الصدر، و هـو قوله تعالى:"هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ[1]، فجملة الخاتمة كانـت موجهـة للـذين يعلمون، و العلم المعرفة بالشيء، ونقيضه الجهل، و جملة الصدر تتحدث عن حساب النجـوم، وعلم الأفلاك الذي لا يدرك معناه سوى عالم به وبأحواله، فمشـاهدات النجـوم و الأفـلاك و الأجرام لا يعيها سوى من خبرها، لذلك كان تفصيل هذه الآيات لقوم يعلمون، ونلحظ أن الفعـل هنا قد حذف معموله، فقد دلّ عليه السياق، و التقدير يعلمون هذه الأمـور، أو يعلمـون كيفيـة حساب السنين أو غير ذلك .

ومن كل ما سبق نخلص إلى أن جملة الخاتمة في الآيات الكونية و الإنسانية، لا تأتي عبثًا أو من قبيل الحشو، وإنما تؤدي معنى يتآلف و يتناسق مع معنى الصدر في الآية، حيث ترتبط كلماتها معًا ارتباطًا وثيقًا، فلا يجد القارئ بينها تنافرًا، و تنافر الكلمات :" ألّا يكون بين الكلمات مجتمعة انسجام و تآلف، فعند اتصال بعضها ببعض تثقل على اللسان، ويعسر النطق بها، و إن كانت كل كلمة على حدة لا ثقل فيها[2]، و في الوقت ذاته ترتبط الجملة مع ما سبقها من كلام، وتتناسب مع معناها بحيث تؤديان معًا معنى متكاملًا.

إضافة إلى أن الكلمات تكون سهلة سلسة بعيدة كل البعد عن التكلف و التصنع، إلا أنها فـي الوقت ذاته تحمل معاني بعيدة المدى، عميقة التأثير، و من المنطقي أن ترتـاح الـنفس لقـراءة القرآن، و فيه من السلاسة و العذوبة و البعد عن التعقيد و التكلف ما يأسر القلوب، لذلك لا نجد معانيه مستعصية على أحد، لأن " الفهم يأنس من الكلام بالمعروف و يسكن إلـى المـألوف، و يصغى إلى الصواب، و يهرب من المحال، و لا يقبل الكلام المضطرب" [3]

1. سورة يونس: الآيات : 5 ــ 6 .
2. لاشين، عبد الفتاح: المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم، ط4، دار الفكر العربي ــ القاهرة، 2003م ص59 .
3. أبو رية، محمود: المختار من كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري. مراجعة عباس حسن خضر، مطابع دار الكتاب العربي ــ مصر، 1959م، ص33 .

- **بين الاسمية و الفعلية**

اشتجرت الآراء حول مسألة الأصل الاشتقاقي القديم في العربية، فقد كان الكوفيون يرون الفعل أصلًا و الاسم فرعًا، في حين كان يرى البصريون الصواب خلافًا لذلك، حيث عدّوا الاسم أصلًا، و الفعل فرعًا .

وليس ما يهمنا أيهما كان أسبق للوجود، و أيهما تفرّع عن الآخر، لأن الأهم من ذلك كلّه، أن كليهما يؤدي معنى يتطلّبه السياق الذي ورد فيه، فهو الذي يحدد أهمية كل واحد، فإذا تطلّب المعنى المراد فعلًا كان الفعل في ذلك المكان أنسب و أكثر ملاءمة، في حين يكون الاسم بالغ الأهمية إذا اقتضى المعنى ذلك .

والفعل كما يقول الزمخشري:" ما دلّ على اقتران حدث بزمان[1]، وربما جاءت دلالته على الحركة من اقترانه بالحدث، أمّا اختلاف نوع هذا الحدث فمرتبط بالزمن الذي وقع فيه، أمّا الاسم ففي الأعمّ الأغلب يدلّ على معنى غير مرتبط بحدث، ولا منوط بحركة متجددة، و لكن لا بدّ من الإشارة إلى أن المصدر يعدّ اسمًا إلا أنه قد يعمل عمل الفعل فيدلّ على الحركة و التجدد في بعض الأحيان .

وقد فرّق القدماء بين الأفعال وفقًا لأزمنة حدوثها، فكان كل واحد منهم مرتبطًا بزمن يدلّ عليه، ولذلك قالوا في تعريف الفعل: "هو ما دلّ على حدث وزمان ماض أو مستقبل نحو قام يقوم، وقعد يقعد وما أشبه ذلك" ،[2] وعلى الرغم من الاختلاف في صياغة العبارة من شخص لآخر، فإن التعريفات كلها كانت تدور حول معنى واحد، وهو ارتباط الحدث بزمن.

وممّا لا شك فيه أنّ قضية الاسم و الفعل شغلت القدماء كثيرًا، فقد فرّقوا بينهما، وانبنى على هذا التفريق تفريقهم بين الجملة الاسمية والفعلية، وربما كان أساس هذا التفريق المعنى الذي دلّ عليه كلّ منهما .

---

1. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، **المفصل.** ص 243 الطبعة المصرية د.ت.

2 .الزجاجي، **الجمل** ص17 تح ابن شنب باريس لاط لا ت .

وقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى قضية الاسم والفعل، حين عرض للفرق بينهما فقال:" إن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئًا بعد شيء، و أمّا الفعل فموضوعه على أن يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئًا فشيئًا، بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك: زيد طويل، وعمرو قصير، فكما لا يقصد ههنا إلى أن نجعل الطول و القصر يتجدد، ويحدث، بل توجبهما، وتقضي بوجودهما على الإطلاق، كذلك لا تتعرض في قولك : زيد منطلق لأكثر من إثباته لزيد، وأمّا الفعل يقصد فيه إلى ذلك فإذا قلت: زيد هو ذا ينطلق، فقد زعمت أن الانطلاق يقع منه جزءًا فجزءًا، و جعلته يزاوله و يُزَجّيه [1] .

وليست المقالة السابقة لعبد القاهر الجرجاني تفريقًا بين الاسم و الفعل فحسب، وإنما هي تفريق بين الجملة الاسمية و الفعلية أيضًا، فالحد الفاصل عند القدماء للتفريق بين الجملتين، ما تصدرت به كل منهما، فالجملة التي يتصدرها اسم اسمية نحو: علي جاء، والجملة التي يتصدرها فعل فعلية نحو: جاء علي .

وعلى ذلك تكون الجملة الاسمية ما دل فيها المسند على الدوام و الثبوت، والجملة الفعلية ما دل فيها المسند على التجدد، أوالتي يتصف فيها المسند إليه بالمسند اتصافًا متجددًا، و بعبارة أخرى هي التي يكون فيها المسند فعلًا، لأن الدلالة على التجدد إنما تستمد من الأفعال وحدها، أمّا الجملة الاسمية فهي التي يدل فيها المسند على الدوام والثبوت، أوالتي يتصف فيها المسند إليه بالمسند اتصافًا ثابتًا غير متجدد، أو بعبارة أخرى هي التي يكون فيها المسند إليه اسمًا[2] .

والجمل الاسمية في خاتمة الآيات الكونية والإنسانية كثيرة بل إنها تفوق عدد الجمل الفعلية، لكن اللافت أن الخبر في معظم هذه الجمل ــ أعني الاسمية ــ كان جملة فعلية:"وأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ"[3]، و أحيانًا جملة فعلية منفية: "بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ[4]، بل إن هناك جملًا اسمية

---

1. الجرجاني، عبد القاهر عبد الرحمن: **دلائل الإعجاز**، قرأه و علق عليه: محمود محمد شاكر، ط5، القاهرة : الشركة الدولية للطباعة 1424هـ ، 2004م ، ص 133.
2. ينظر، المخزومي، مهدي : **في النحو العربي نقد و توجيه**،ط1. منشورات المكتبة العصرية،بيروت 1964م. ص41 .
3. سورة البقرة: الآية : 22 .
4. سورة العنكبوت: الآية : 63 .

كان النعت فيها جملة فعلية، كقوله تعالى : " ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ" [1]، و قوله تعالى: "بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ"[2].

وقد كانت الأفعال التي وردت في جملة الخاتمة في الآيات الكونية والإنسانية، أفعالًا ثلاثية الأصل، ولم يكن للأفعال الرباعية و الخماسية فيها نصيب، إلا أن هذه الأفعال لم تأت على هيئة واحدة، فمنها ما جاء على صيغة المضارع، ومنها ما جاء على صيغة الماضي، ومنها ما جاء على صيغة الأمر، ومنها ما جاء مبنيًا للمجهول .

وتجدر الإشارة إلى أن نسبة الأفعال المضارعة في جملة الخاتمة في الآيات الكونية والإنسانية، تعدّ أكثر من نسبة الأفعال الأخرى(الماضي و الأمر)، وكل ذلك كان له ارتباط وثيق بالمعنى الذي أفادته جملة الخاتمة .

دلالات صيغ المضارع[3]:

- أنه لا يكون إلا للحال، وعليه ابن الطراوة قال : لأن المستقبل غير محقق الوجود، فإذا قلت : زيد يقوم غدًا، فمعناه ينوي أن يقوم غدًا .
- أنه لا يكون إلا للمستقبل، و عليه الزجاج، و أنكر أن يكون للحال صيغة لقصره فلا يسع العبارة، لأنك بقدر ما تنطق بحرف من حروف الفعل صار ماضيًا.
- و هو أنه صالح لهما حقيقة فيكون مشتركًا بينهما، لأن إطلاقه على كل منهما لا يتوقف على مسوّغ، و هذا رأي الجمهور و سيبويه .
- أنه حقيقة في الحال، مجاز في الاستقبال، و عليه الفارسي، وهو المختار عند السيوطي بدليل حمله على الحال عند التجرد من القرائن، و هذا شأن الحقيقة، و دخول السين عليه لإفادة الاستقبال و لا تدخل العلامة إلا على الفروع، كعلامات التثنية و الجمع و التأنيث.

---

1. سورة الروم : الآية : 20 .
2. سورة النمل: الآية : 60 .
3. السيوطي : **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، تح عبد العال سالم مكرم، الكويت، دار البحوث العلمية 1979م، 17/1.

- أنه حقيقة في المستقبل مجاز في الحال، لأن أصل أحوال الفعل أن يكون منتظرًا ثمّ حالًا، ثمّ ماضيًا، فالمستقبل أسبق .

وقد أدرك ابن جني قيمة حروف المضارعة، فدلالتها لا تقتصر على الدلالة على الحال أو الاستقبال، وإنما تتعداها لتشمل الدلالة على الفاعل، يقول ابن جني:" تقدمت حروف المضارعة في أول الفعل إذ كنّ دلائل على الفاعلين مَن هم، وما هم و كم عدتهم، نحو أفعل و نفعل و تفعل و يفعل" [1] .

ويمتاز الفعل في اللغة العربية بأنه مرتبط بالفاعل، معبر عنه متصل به، " فالفعل في العربية لا يستقل بالدلالة دون الذات، والذات متصلة بالفعل في نفس تركيبه الأصلي فأنت تقول : اكتب بدون همزة أو يكتب أو تكتب ولا يوجد في العربية فعل مستقل عن ذات في حين أن اللغات الغربية الحية تضطر غالبا إلى إثبات الآنية أو الذات عن طريق ضمير المتكلم أو المخاطب أو الغائب مصرحا به في كل مرة، بحيث لا تفهم نسبة الفعل إلى الفاعل بدون هذا التصريح [2]، ومن أمثلة ذلك (I go) في الإنجليزية، ويقابلها بالعربية : أذهب، دون الحاجة إلى ذكر ضمير.

و تعدّ كثرة الأفعال المضارعة في جملة الخاتمة في الآيات الكونية والإنسانية ظاهرة لافتة، حيث فاقت هذه الأفعال الثمانين فعلًا، في حين لم تتجاوز الأفعال الماضية الخمسة و العشرين، أما أفعال الأمر فقد كانت محدودة العدد .

وجدير بالذكر أن الأفعال المضارعة المنفية كان لها حضور بارز في جملة الخاتمة، وكذلك الأفعال المبنية للمجهول، وكان لهذا التكرار معان بلاغية عميقة، ستتطرق إليها الباحثة في فصل لاحق.

---

1. ابن جني ، أبو الفتح عثمان : **الخصائص** . ط 2 ، تحقيق محمد علي النجار ، بيروت : دار الهدى للطباعة والنشر 1913 م ، 1 /224 ــ 225.
2. أمين ، عثمان : **فلسفة اللغة العربية** . القاهرة : الدار المصرية للتأليف والترجمة ، سلسلة المكتبة الثقافية ، 1965 م. ص 34 .

ولتكرار الأفعال المضارعة بهذه الصورة اللافتة علاقة وثيقة بمعنى الآية، فالأفعال المضارعة توحي بمعنى الاستمرار، فيكون المعنى متجددًا دومًا، ففي قوله تعالى مثلًا:" وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ"(1)، نجد الأفعال المضارعة في جملة الخاتمة في الآيتين تدل على التجدد، و توحي باستمرارية الفعل، فليس من أحد يقرأ هذه الآيات إلا شعر أن الخطاب موجّهًا له، والدعوة إلى التفكر والتأمل في طيات هذه الآيات مخاطِبة شخصه، ومن هنا كان القرآن الكريم صالحًا لكل زمان.

وفي قوله تعالى:" يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ" (2)، نلحظ للمضارع (نفصّل) في هذه الآية جرسًا خفيًا، ذا تأثير عميق، يستشعره القارىء، ممّا يعطي الآية معنى متجددًا في الذات، و كأن هذا التفصيل دائم ومستمر، لا يملّ و لا يستقر له معنى واحد في الذهن.

و قبل الحديث عن الصيغ التي وردت في جمل الخاتمة، و عن دلالات المفردات فيها لا بدّ من الحديث عن أنواع الدلالات اللغوية: (3)

* الدلالة الصوتية: وهي تلك الدلالة المستمدة من بعض الأصوات .

* الدلالة الصرفية: و هي المستمدة من الصيغ و الأبنية الصرفية، أو هي الدلالة المستفادة من الأوزان و الصيغ المجردة .

* الدلالة النحوية: وهي الدلالة المحصلة من استخدام الألفاظ أو الصور الكلامية في الجملة المكتوبة أو المنطوقة على المستوى التحليلي أو التركيبي .

* الدلالة المعجمية : وهي المعنى المعجمي للكلمة .

* الدلالة الاجتماعية: وهي مفهوم الكلمة المستقل عن أصواتها، حيث تستمد معناها من البيئة الاجتماعية التي نشأت فيها، على أساس التفاهم بين أفراد المجتمع .

* الدلالة السياقية : وهي المستمدة من السياق الذي وردت فيه .

---

1. سورة الرعد: الآيات : 3 ـــ 4 .

2. سورة يونس: الآية : 5 .

2. ينظر، أنيس، إبراهيم: **دلالة الألفاظ**. ط3. مكتبة الأنجلو المصرية،1976م، ص46ـــ 48 .

وقد تعددت دلالات الأفعال و الألفاظ في جملة الخاتمة، و ممّا تجدر الإشارة إليه أن هـذه الدلالات كانت في معظمها صرفية، تتعلق بأوزان هذه الأفعال والألفاظ و البنى الصرفية لهـا، ودلالات ذلك وعلاقته بالمعنى .

ومن الأمثلة على الدلالة الصرفية في خاتمة الآيات، ماجاء في قوله تعالى:" لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا[1]، فقد وردت كلمة(أناسيّ) في جملة الخاتمـة علـى صيغة الجمع، ولم ترد (أناسًا) لأن الصيغة تحمل معنى الكثرة وهذا يتناسب مع ما جاء في الآية من امتنان الله على عباده بالمطر الجالب للخير، إضافة إلى أنها جاءت موصوفة(كثيـرًا)، ممّـا يدلل على المعنى الذي أشارت إليه صيغتها .

ومن أبرز الصيغ التي جاءت عليها الأفعال في جملة الخاتمة (فعّل و يفعّل)، وقد ترتـب على هذه الزيادة في مبنى الفعل زيادة في معناه، يقول ابن جني:" و أمّا فعّل فللتكثير نحو: غلّق الأبواب، وقطّع الحبال، و كسّر الجرار[2]، إضافة على أنّ هذا التضعيف يفيد معنـى المبالغـة، والأمثلة على ذلك في جملة الخاتمة كثيرة، سواء كانت هذه الأفعال ماضية أم مضـارعة ففـي قوله تعالى :"كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ[3]، أفادت الزيـادة فـي الأفعـال (نفصّـل ، يتفكّرون) معنى التكثير، و المبالغة في معنى الفعل الأصلي .

وفي قوله تعالى:" قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ[4]، أفاد التضعيف هنا التكثير و الزيادة في الفعل، أي مضاعفة هذا الفعل، فلم يقل سبحانه وتعالى قليلًا ما تذكرون، و إنمّا جاء الفعل على وزن (تفعّلون)، لإفادة المبالغة بالقيام بالفعل المذكور.

أمّا الأفعال الماضية: التي جاءت على صيغة فعّل فقد وردت في قوله تعالى:
" قَدْ فَصَّلْنَا الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ [5]

1. سورة الفرقان: الآية : 49 .
2. **الخصائص** 223/1 .
3. سورة يونس: الآية : 24 .
4. سورة النمل: الآية : 62 .
5. سورة الأنعام: الآية : 97 .

"قَدْ فَصَّلْنَا الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ" [1] .

"وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ" [2] .

وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ " [3] .

"قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآَيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" " [4] .

والأفعال السابقة كلّها تفيد معنى الزيادة في معنى الفعل، والمبالغة فيه وتكثيره، فصّل تفيد المبالغة في التوضيح، وفصّل:"بيّن ووضّح، وآيات مفصّلات، مبينات واضحات" [5] ، و بيّن تفيد المبالغة بالتوضيح أيضًا .

أمّا ما جاء من الأفعال على صيغة(أفعل)، فتكون زيادة الهمزة في أوله قد أفادت معنى التعدية، و بذلك يصير الفاعل مفعولًا، و لا يقتصر تأثيرها على الجانب النحوي فقط، بل إنه يمتد ليشمل المعنى أيضًا، فحين نقول: نزل فلان، هذا يعني أنه نزل بمحض إرادته دون ضغط من أحد، أمّا حين نقول : أنزلت فلانًا، فهذا يعني أن هناك من أنزله، و أثّر عليه، يقول ابن جني:" أفعل للنقل و جعل الفاعل مفعولًا، نحو دخل و أدخلته، و خرج و أخرجته" " [6] .

وندرج هنا بعض الآيات التي وردت فيها أفعال ماضية، أفادت زيادة الهمزة في أولها التعديةَ:

وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ " [7] .

"فأخرجنا به أزواجًا من نبات شتى" " [8] .

فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ " [9] .

---

1. سورة الانعام: الآية : 98 .
2. سورة إبراهيم: الآية : 32 .
3. سورة يس: الآية : 34 .
4 . سورة الحديد: الآية : 17 .
5. **لسان العرب**، مادة(فصل) .
6. **الخصائص**، 1/ 223.
7. سورة يس: الآية : 33 .
8. سورة طه: الآية : 53 .
9. سورة الحج: الآية : 5 .

وأخيرًا نتحدث عن زيادة بعض اللواحق أو السوابق على الفعل مما يكسبه دلالة إضـــافية، حيث أفادت هذه الزيادة تعميق المعنى الأصلي، فكان اللفظ أبلغ، ومنها زيادة التاء في أول بعض الأفعال الماضية، كقوله تعالى:"تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ " [1] ،فلزيـــادة الحـــروف فـــي الأفعـــال كسوابق أو لواحق، دلالة كما يرى ابن جني، فهي لتوكيد المعنى تعالى أبلغ من علا" [2] .

أمّا فيما يخص الجملة الاسمية في خاتمة الآيات الكونية و الإنسانية، فلا بدّ مـــن الإشـــارة إلى أمرين: أولًا أن الخبر في الجمل الاسمية ــ المنسوخة و غير المنسوخة ــ كان في معظـــم الأحيان متعددًا كقوله تعالى: "وهو السميـــع العليم" " [3] ، وقوله: "أَلَا هُـــوَ الْعَزِيـــزُ الْغَفَّـــارُ" [4] .وقوله:"إن الله لطيف خبير " [5] ، أوجملة فعلية فعلها مضارع كقوله تعالى: "بَـــلْ أَكْثَـــرُهُمْ لَـــا يَعْقِلُونَ" " [6] ، ثانيًا أن أكثر الصيغ تكرارًا في هذه الجمل صيغ المبالغـــة (فعّـــال و فعـــول و فعيل).

وقد عزّز تعدد الخبر في جملة الخاتمة المعنى العام، بل إنه جاء متضامنًا مع ما تدل عليه الجملة في الصدر، وغالبًا ما كانت هذه الأخبار المتعددة أسماء الله الحسنى، ولن نتحدث عن دلالتها هنا، لأننا سنتحدث عنها بشكل مستفيض لاحقًا .

أمّا كون الخبر في بعض الآيات جملة فعلية، فقد أشرنا في صفحات سابقة إلى دلالة الفعل المضارع، ولا حاجة بنا في هذا المقام إلى تكرار ما سبق ، أمّا الجملة الاسمية فتكون ذات معنى دال على الثبات، وذلك لأن الأسماء في الغالب تدل على معنى ثابت، لكن مجيء الخبر جملة فعلية قد يكسب الجملة الاسمية نوعًا من التجدد في المعنى، بفعل تأثرها بتجدد الفعل الموجود فيها كركن أساسي .

---

1. سورة النمل: الآية : 63 .
2. ينظر **الخصائص** 3/ 264 .
3. سورة الأنعام: الآية : 13، و وردت هذه الجملة في سورة العنكبوت: الآية : 60 .
4. سورة الزمر: الآية : 5 .
5. سورة الحج: الآية : 62 .
6. سورة العنكبوت: الآية : 63 .

وممّا يلفت أن معظم الجمل الاسمية في خاتمة الآيات الكونية والإنسانية، اشتملت على صيغ مبالغة، منها ما جاء على فعّال(قهّار، كفّار،غفّار، صبّار)، ومنها ما جاء على فعول(غفور، شكور، رؤوف، ظلوم)، ومنها ما جاء على فعيل (سميع، عليم، خصيم، عزيز) .

وفي ختام حديثنا عن الجملة الاسمية علينا أن لا نغفل الجمل المنسوخة ب(لعل)، حيث وردت بكثرة في خاتمة الآيات الكونية والإنسانية، وقد أفادت ـــ في الأعمّ الأغلب ـــ التعليل، بالرغم من وجود معان أخرى لها، وربما يكون السبب في ذلك أن العلة وراء هذه الآيات التفكر والاستدلال على الخالق، فالله تعالى خلقها لتقودنا إليه، لذلك لا يحتمل جو النص هذا إلا التعليل، ولا يلمح من سياقاته أي معنى آخر من معاني(لعل) كالإشفاق والترجي وغيرها .

ففي قوله تعالى مثلًا:" فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" [1] ، أفادت لعل في جملة الخاتمة معنى التعليل، فكانت الدلالة العميقة لها راجين أن تعقلوا أو آملين ذلك .

1. سورة البقرة: الآية : 73.

- **قيام صيغة مقام أخرى :**

من الظواهر اللغوية اللافتة في جملة الخاتمة في الآيات الكونية و الإنسانية، قيام صيغة مقام أخرى، بحيث تكون الصيغة البديلة أبلغ في التعبير، و أكثر ملاءمة للمعنى المراد، و لا بدّ من الإشارة إلى أن صيغ أسماء الله الحسنى كانت من هذا القبيل، فقد استبدلت بعض الصيغ بها، لدلالة المبالغة .

فعيل بدلًا من فاعل:

ومن ذلك ورود كلمة سميع على (فعيل)، بمعنى الفاعل في قوله تعالى: "وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" [1] يقول البيهقي: السميع : "بمعنى السامع، إلا أنه أبلغ في الصفة، و بناء فعيل بناء المبالغة، والسميع الذي يسمع السر و النجوى" [2] .

ومن الأمثلة الأخرى على ذلك، ورود صيغة عليم(فعيل)، بدلًا من عالم (فاعل)، في قوله تعالى مثلًا:"إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" " [3] و قوله: "إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" " [4] ، وقوله تعالى أيضًا "وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ" " [5] ، و العليم هنا للمبالغة "جاءت على صيغة فعيل للمبالغة في وصفه بكمال العلم " [6] .

ولا شكّ في أن السياق تطلّب هذه الصيغة، لدلالتها على المبالغة، و إذا تمعنّا في الآيات الثلاثة السابقة وجدنا المعنى يتطلب صاحب علم مطلق، قد تجاوز حدّ الكمال، وذلك من خلال لفظ (كلّ) في الآية الأولى و الثانية، الدالّ على الشمولية، ولفظ (ذات الصدور)، في الآية الثالثة حيث تحتاج معرفة مكنونات الصدور، وخبايا الجوهر علمًا تامّا خارقًا غير عاديّ و لا مألوف، لذلك تطلّب السياق هذه الصيغة الدالة على الزيادة في الصفة الأصلية.

---

1. سورة الشورى: الآية : 11.
2. البيهقي، أحمد بن الحسين : **الأسماء والصفات**، ، بيروت ــ لبنان، دار الكتب العلمية، لا ط ،لا ت ص 62.
3. سورة الشورى: الآية : 12.
4. سورة العنكبوت: الآية : 62.
5. سورة الحديد: الآية : 6.
6. البيهقي: **الأسماء والصفات**، ص63 .

ومن الأمثلة الأخرى على قيام صيغة فعيل مقام صيغة فاعل، لفظ قدير في قوله تعالى مثلًا:"إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"" [1] ، و قوله تعالى:"إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" [2] ،. فقد وردت كلمة قدير بدلًا من قادر لإفادة المبالغة، ولا غرو في ذلك و الظواهر الكونية و الإنسانية الواردة في جملة الصدر تتطلب قدرة تفوق كلّ حدّ، فهي أمور لا يقدر عليها إلا من بلغت القدرة عنده منتهاها وغايتها، وجاء في لسان العرب: " قدير على وزن فعيل بمعنى فاعل (قادر)، القَدِيرُ والقادِرُ: من صفات الله عز وجل يكونان من القُدْرَة ويكونان من التقدير. وقوله تعالى: إن الله على كل شيء قدير؛ من القُدْرة، فالله عز وجل على كل شيء قدير، والله سبحانه مُقَدِّرُ كُلِّ شيء وقاضيه. ابن الأَثير: في أَسماء الله تعالى القادِرُ والمُقْتَدِرُ والقَدِيرُ، فالقادر اسم فاعل من قَدَرَ يَقْدِرُ، والقَدِير فعيل منه، وهو للمبالغة، والمقتدر مُفْتَعِلٌ من اقْتَدَرَ، وهو أَبلغ" " [3] .

ومثال أخير نختم به هذه النقطة، وهو ورود صيغة رحيم بدلًا من راحم، و ذلك للدلالة على المبالغة أيضًا، ومنه قوله تعالى مثلًا:"إن الله بالناس لرؤوف رحيم" [4] ، و الرحيم في الأصل مبالغة وتعني:" ذا الرحمة التي لا غاية بعدها" [5] ، و معنى الجملة في الصدر يتطلب هذه الخاتمة لأن الله الذي يسخّر كلّ ما في الأرض لخدمة الإنسان، ويمسك السماء أن تقع على البشر، يمتلك رحمة لا متناهية .

فعيل بدلًا من مُفعِل:

ومن أبرز الأمثلة على ذلك قيام صيغة حكيم بدلًا من محكم، في قوله تعالى مثلًا:" وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ " [6]، وهو" الذي لا يقول و لا يفعل إلا الصواب، و إنما ينبغي أن يوصف بذلك لأن أفعاله سديدة، و صنعه متقن، و لا يظهر الفعل المتقن السديد إلا من حكيم، و الحكيم هو المحكم لخلق الأشياء صرف عن مُفعِل إلى فعيل" [7] .

---

1. سورة الاحقاف: الآية : 33، ووردت أيضًا في سورة فصلت : الآية : 39 .
2. سورة النور: الآية : 45، ووردت أيضًا في سورة العنكبوت: الآية : 20 .
3. **لسان العرب**، مادة (قدر).
4. سورة الحج: الآية : 65.
5. **لسان العرب**، مادة (رحم) .
6. سورة الأنعام: الآية : 73.
7. البيهقي: **الأسماء والصفات**، ص38 .

ومن الأمثلة الأخرى على ذلك مجيء بصير بدلًا من مُبصِر، في قوله تعالى مثلًا:" وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ" [1] ، وذلك إظهارًا لمعرفة الله المطلقة بكل ما يُفعل، وذلك لأنه سبحانه وتعالى يرى ويبصر كل هذه الأفعال فقد بلغت هذه الصفة عنده سبحانه منتهاها .

فعيل بدلًا من مُفاعل:

ومن أبرز الأمثلة على ذلك، مجيء كلمة (خصيم) بمعنى(مخاصم) في قوله تعالى:" أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ" " [2] ، يقول القرطبي:" مخاصم كالنسيب بمعنى المناسب، أي يخاصم الله عز وجل في قدرته،" " [3] ، و قد بلغ الفجور في الإنسان حدّا لا يوصف، بحيث يجادل الله تعالى في قدرته، ومن هنا كان المجيء بفعيل لإفادة المبالغة في الجدل والمحاجة الباطلة التي لا أصل لها .

فعيل بدلًا من مفعول:

وقد تأتي صيغة فعيل مقام صيغة مفعول، لإفادة المبالغة في دلالة اللفظ، يقول القرطبي: فعيل قد يكون بمعنى الفاعل و المفعول" [4] ، ومنها مجيء لفظ(حميد) بدلًا من محمـود، فـي قولـه تعالى مثلًا:" وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ" " [5] ، و الحميد المحمود الذي استحق الحمد بفعاله و هو الـذي يحمد في السراء و الضراء" [6] ، و المعنى أبلغ مع صيغة فعيـل، لأن الله تعـالى أنعـم علـى الإنسان نعمًا أكثر من أن تحصى، و بالمقابل فإن الله تعالى يستحق من الإنسان حمدًا لا مثيل له ولا نهاية، لأنّ الإنسان مهما حمد الله فلن يوفيه ولو جزءًا يسيرًا من النعم التـي أنعمهـا عليـه سبحانه و تعالى.

فَعول بدلًا من فاعل:

ومثل ذلك مجيء كلمة ظَلوم بمعنى ظالم، في قوله تعالى:" "إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ" [7] ،

---

1. سورة الحديد: الآية : 4.
2. سورة يس: الآية : 77.
3. القرطبي ، محمد بن أحمد : **الجامع لأحكام القرآن** . ط3 . دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ،1387 هـ 1967م. 10 / 168.
4. القرطبي : **الجامع لأحكام القرآن**، 1/ 105 .
5. سورة الشورى: الآية : 28 .
6. البيهقي :**الأسماء والصفات** ص 80 .
7. سورة إبراهيم: الآية : 34.

والمراد هنا ظالم إلا أن الصيغة جاءت على فعول لإفادة تمادي الإنسان في الظلم، فكانت الصيغة أبلغ.

ومن الأمثلة الأخرى على ذلك مجيء كلمة شَكور في قوله تعالى:" إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ" " [1] ، بمعنى شاكر، و ذلك لأن من يشكر الله تعالى يجب أن يكون شكره مثاليًا، لأن نعم الله كثيرة ومهما اجتهد المرء في شكره يظلّ مقصّرًا .

مجيء المصدر على فُعول:

و ذلك أن يأتي المصدر على فُعول، كما في قوله تعالى:" أَوَلَمْ يَـرَوْا أَنَّ اللَّـهَ الَّـذِي خَلَـقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا [2] ، فقد جاء المصدر على كُفور، لإفادة المبالغة، لأن الكفر بأنعم الله قمة الجحود، و بالتـالي لا بد من أن يكون هؤلاء الظالمون قد فجروا و تجبروا و تمردوا على خالقهم، لدرجة أنهم كفـروا بنعمه عليهم، ويرى الزركشي أن نعم الله على الإنسان كثيرة، و كل كفر في مقابلتهـا عظـيم، لذلك جاءت كفور على فُعول للمبالغة" [4] .

فعّال بدلًا من فاعل:

ومن ذلك أن يأتي لفظ الفاعل على صيغة (فعّال) لإفادة المبالغة، والأمثلة على ذلك كثيـر ة منها قوله تعالى: "أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ" " [5] ، و قو له تعالى في موضع آخر:"وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ " [6] ، وقوله أيضًا "إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ" " [7] ، وقوله أيضًا:"إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِكُـلِّ صَـبَّارٍ شَكُورٍ" " [8] ، ففي هذه الأمثلة جميعًا جاءت صيغة فعّال بمعنى الفاعل، لإفادة المبالغة، والزيادة.

---

1. سورة لقمان: الآية : 31، ووردت أيضًا في سورة الشورى .
2. سورة الإسراء: الآية : 99 .
4. ينظر، الزركشي: **البرهان في علوم القرآن** 287/2
5. سورة الزمر: الآية : 5.
6. سورة الرعد: الآية : 16 .
7. سورة إبراهيم: الآية : 34 .
8. سورة لقمان: الآية : 31، ووردت أيضًا في سورة الشورى: الآية : 33.

في معنى اللفظ، فالغفّار: "من أسماء الله الحسنى، و هو الساتر لذنوب عباده،المتجاوز عن خطاياهم، و أصل الغفر التغطية و الستر، و غفر الله ذنوبه أي سترها" [1] ، أمّا القّهار، فهي مبالغة في معنى القهر، فالقهر:" الغلبة و الأخذ من فوق، و القهار من صفات الله عز وجلّ،لأنه قهر خلقه بسلطانه و قدرته، والقهار للمبالغة" " [2] ، أمّا الكفّار، فمن تجاوز الحد في كفره، و الكفر:" نقيض الإيمان، وكافر جاحد لنعم الله، وكفّار وكَفور بمعنى كافر، و الأنثى كفور أيضًا" [3] ، أمّا صبّار، فهي اسم فاعل من صبر مبالغ في معناه، وجاء في لسان العرب:" والصَّبْرُ: نقِيض الجَزَعِ، صَبَرَ يَصْبِرُ صَبْراً، فهو صابِرٌ وصَبَّار وصَبِيرٌ وصَبُور، والأُنثى صَبُور أَيضاً، بغير هاء، وجمعه صُبُرٌ" [4] .

وما نلحظه ممّا سبق أن الصيغ التي وردت على فعّال، أفادت المبالغة في المعنى الأصلي، وذلك كله يتناسب مع معنى الآيات الكونية والإنسانية، لأن الذي يخلق ويكوّن ويدبر و يفصّل من الطبيعي أن يكون قهّارًا، قد تجاوز معنى القهر الأصلي وفاقه، و من يتجاوز عن الأخطاء ويغفر الذنوب جميعًا من المنطقي أن يكون غفّارًا، ومن يجحد نعم الله و يكفر بها، ولا يشكره عليها، لا بدّ أن يكون قد تجاوز خط الكفر فغدا كفّارًا .

وممّا تجدر الإشارة إليه أن الله تعالى قد تجاوز حدّ الكمال في كل صفاته، و كما يقول الزركشي: إن" صفات الله التي هي صيغة مبالغة كغفّار و رحيم و غفور ومنّان كلها مجاز، إذ هي موضوعة للمبالغة، و لا مبالغة فيها، لأن المبالغة هي أن تثبت للشيء أكثر مما له، و صفات الله متناهية في الكمال، لا يمكن المبالغة فيها، والمبالغة أيضًا تكون في صفات تقبل الزيادة و النقصان، وصفات الله منزّهة عن ذلك" " [5] .

---

1. **لسان العرب**، مادة(غفر).
2. المصدر السابق، مادة (قهر).
3. السابق، مادة(كفر).
4. السابق، مادة (صبر).
5. الزركشي: **البرهان في علوم القرآن** 2/ 507

الفصل الثالث

مبنى الجملة

* تقديم .

* المبنى النحوي .

* المبنى البلاغي .

المبنى النحوي للجمل

تقديم:

سنتناول مبنى الجملة الخبرية وأنماطها في جمل الخواتيم، والجملة الخبرية إما أن تكون جملة فعلية، أو اسمية (من مبتدأ وخبر)، أو اسمية منسوخة بالحرف، أو اسمية منسوخة بالفعل .

والإخبار لغة : ما أتاك من نبأ عمّن تستخبر، يقول ابن سيده : " الخبـر النبـأ، والجمـع أخبار، وأخابير جمع الجمع ". [1]

أمّا اصطلاحًا : فهي الجملة التي تخبر بها عن شيء يحتمل الصدق والكذب، لأنه لا يكون خبر حتى يكون مخبرٌ عنه، وهو ينقسم إلى إثبات ونفي، والإثبات يقتضي مثبِتًـا ومثبَتًـا لـه، والمنفي يقتضي منفيًا ومنفيًا عنه[2] .

أنواع الجملة الخبرية:

1. الجملة الإسمية : "هي التي صدرها اسم، كزيد قائم، وهيهات العقيق، وقائم الزيدان، عند من جوّزه وهم الأخفش والكوفيون". [3]

2. الجملة الفعلية: " وهي التي صدرها فعل، كقام زيد، وضُرب اللص، وكان زيد قائمًا، ويقـوم زيد، وقم[4].

---

1. **لسان العرب** ، مادة (خبر) .
2. الجرجاني ، عبد القاهر: **دلائل الإعجاز**، ط3، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، جدة دار المدني، 1992، ص 527 .
3. ابن هشام، جمال الدين بن يوسف: **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، بيروت دار الكتاب العربي، ج 2، ص 376.
4. المصدر السابق، ص 376.

الجملة الاسمية

المبتدأ و الخبر

والمبتدأ : كل اسم ابتدئ ليبنى عليه كلام[1]، "والأصل في المبتدأ أن يكــون معرفــة" [2]، ويمكن الابتداء بالنكرة في حال حصول الفائدة، كأن يخبرعنها بمختص مقدم ظرف ،أو مجرور نحو(و لدينا مزيد)[3]، وفي حال اجتماع نكرة و معرفة" فأحسنه أن يبتدئ المتكلم بالأعرف وهو أصل الكلام" [4].

ولا بدّ من الإشارة إلى أن المبتدأ في معظم الجمل الاسمية الواردة في خاتمة الآيات الكونية والإنسانية جاء معرفة، سواء أكان ضميرًا منفصلًا أو اسم إشارة أو اسمًا موصولًا، أو لفظًا معرفًا بأل التعريف .

أمّا الخبر فهو: الجزء الذي حصلت به الفائدة مع مبتدأ غير الوصف المذكور[5]، "و الأصل في الخبر التأخر" [6]، إلا أنه في بعض الجمل الاسمية في خاتمة الآيات تقدم على المبتدأ، لكونه شبه جملة تحوي ضميرًا يعود على اسم سابق، (وإليه النشور، وإليه المصير).

وقد يأتي الخبر مفردًا أو جملة، وإمّا أن يكون الخبر المفرد جامدًا فلا يحتمل ضمير المبتدأ، نحو (هذا زيد)، أو مشتقًا فيحتمل ضمير المبتدأ نحو (زيد قائم)، إلا في حال رفع الظاهر، نحو (زيد قائم أبوه). [7]

---

1. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: **الكتاب**،تحقيق عبد السلام هارون، بيروت دار الكتاب العربي للطباعة و النشر، القاهرة، ج2،ص126 .
2. ابن هشام، عبد الله جمال الدين بن يوسف: **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب** تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ط9، 1382 هــ ـــ 1963م، مطبعة السعادة ص182 .
3. ينظر، ابن هشام، عبد الله جمال الدين بن يوسف: **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**،ط5، بيروت ـــ لبنان،دار إحياء التراث العربي،1966م 143/1، و ينظر ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك،ط2، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، بيروت، دار الفكر، 1985م، 216/1، و ينظر ابن السراج: محمد بن سهل: الأصول في النحو، ط3، تحقيق عبد الحسين الفتلي، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1996م، 59/1 .
4. سيبويه: **الكتاب**، 2/ 328 .
5. **أوضح المسالك1**/137.
6. ينظر المصدر السابق1/.145
7. ينظر،السابق 1/ 137.

أمّا في حال اجتماع معرفتين فهناك ستة آراء هي: [1]

- الأول : لك حرية الاختيار، فما شئت جعلته مبتدأ، و هذا ما جاء عليه قول الفارسي ، وظاهر قول سيبويه .
- الثاني : أن الأعم هو الخبر، نحو زيد صديقي، إذا كان له أصدقاء آخرون .
- الثالث : يعتمد على المخاطب، فإن علم منه أنه في علمه أحد الأمرين، أو يسأله من القائم فيقال: القائم زيد، فالمجهول الخبر .
- الرابع : أن المجهول لدى المخاطب دائمًا هو الخبر، و المعلوم هو المبتدأ .
- الخامس: في حال اختلاف رتبتهما في التعريف، فالأعرف هو المبتدأ، و إلا فالسابق .
- السادس: أن الاسم متعين للابتداء، و الوصف متعين للخبر نحو: القائم زيد .

والجمل الاسمية التي كان فيها المبتدأ والخبر معرفتين، كثيرة في خاتمة الآيـــات الكونيـــة والإنسانية، إلا أن هذه الجمل كانت تحمل شكلًا واحدًا وصورة تكاد تكون متطابقة، فقد صبّت في قالب واحد، كان فيه المبتدأ ضميرًا منفصلًا (هو)، والخبر متعددًا ، والأمثلة على ذلك كثيرة في أنماط الجمل الاسمية على نحو ما سيرد في الصفحة التالية .

ولم تكن صورة الخبر في جملة الخاتمة واحدة، بل تعددت أشكاله، وتنوعت صوره، فكان اسمًا ظاهرًا معرّفًا (بأل)، وكان نكرة موصوفة، وكان جملة فعلية، وكان شبه جملة (من جار ومجرور)، إلا أنه لم يأت جملة اسمية ولو في آية واحدة .

وفي الصفحات التالية ستعرض الباحثة لأهم أنماط الجملة الإسمية في خاتمة الآيات الكونية والإنسانية، والصور التي جاء عليها كلّ من المبتدأ والخبر، إلا أن الباحثة ستكتفي بعرض هذه الأنماط جميعها كما وردت في خاتمة الآيات مع تعليق بسيط عليها، دون أن تستفيض في شرحها، وذلك لإبراز النمط الذي جاءت الجمل في خاتمة الآيات موافقة له .

---

1. السيوطي ، جلال الدين: **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، 28/2 .

أنماط جملة المبتدأ والخبر في جملة خاتمة الآيات الكونية والإنسانية:

* **المبتدأ ضميرًا والخبر متعددًا:** والجمل الاسمية التي جاءت وفق هذا النمطقوله تعالى:

- " وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ " [1]
- " وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ " [2]
- " وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ " [3]
- "وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِير " [4]
- " وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ "[5]
- "أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ" [6]
- "وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ[7]
- " وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ [8]
- " بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ " [9]

وكل هذه الجمل كما نرى، جمل اسمية، المبتدأ فيها ضمير منفصل(هو)، والخبر متعدد، وتجدر الإشارة إلى أنه " يكثر أن يكون للمبتدأ الواحد خبران أو أكثر[10] ف(السميع) خبر أول و(البصير)خبر ثان في قوله تعالى"وهو السميع البصير"، و(الرحيم) خبر أول و(الغفور) خبر ثان في قوله تعالى: " وهو الرحيم الغفور"،وهكذا في بقية الجمل، وفي هذه الحالة تعدد الخبر لفظًا ومعنى، بحيث كان كل واحد منهما مخالفًا للآخر، والحكم هنا جواز عطف الخبر الثاني على الأول(11) .

---

1. سورة الأنعام : الآية : 13، ووردت هذه الجملة في سورة العنكبوت: الآية :60 .
2. سورة الأنعام : الآية : 73 .
3. سورة الرعد: الآية : 16 .
4. سورة الروم: الآية : 54 .
5. سورة سبأ : الآية : 2 .
6. سورة الزمر : الآية : 5 .
7. سورة الشورى : الآية : 11 .
8. سورة الشورى : الآية : 28 .
9. سورة يس : الآية : 81 .
10. حسن، عباس: **النحو الوافي**،ط2، دار المعارف،القاهرة، 1963م، 1/ 381 .
11. ينظر، المصدر السابق، 1/ 381 .

و مما يلفت أن الخبر في هذه الجمل جميعها كان ــ في الأعمّ الأغلب ــ صــيغة مبالغــة لاسم الفاعل، فمنه ما جاء على (فعّال)، ومنه ما جاء على (فعيل)، وذلك لعلاقة وثيقة بالمعنى الذي يتطلب الزيادة في الصفة، ولا غرو في ذلك و قد كانت هذه الجمل مؤكِدة ضــمنيًا لمعنــى الصدر في الآيات .

*** المبتدأ ضميرًا والخبر نكرة :**

والجمل التي وردت على هذه الهيئة قوله تعالى :

- " فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ " [1]
- " ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ" [2]
- " وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ " [3]
- "وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ" [4]
- " فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ " [5]
- "بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ" [6]
- " وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ " [7]
- "وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" [8]

فالجملة الاسمية في المثالين الأول والثاني، أدت وظيفة المضاف إلى (إذا) الظرفية، والبنية العميقة للمتضايفين هي" حين إظلامهم" في الجملة الأولى، و(حين كونهم بشرًا منتشــرين) فــي الجملة الثانية، أمّا في المثال الثالث، فقد جاءت الجملة المضارعية(يشاء) مؤدية وظيفة المضاف إلى(إذا) الظرفية، والبنية العميقة لها(حين مشيئته). و في بقية الأمثلة جاء المبتدأ ضميرًا، فــي حين كان الخبر نكرة .

---

1. سورة يس : الآية : 37 .
2. سورة يس : الآية : 38، ووردت في سورة الأنعام : الآية : 96.
3. سورة الشورى : الآية : 29 .
4. سورة الحديد : الآية : 6.
5. سورة يس : الآية : 71.
6. سورة النمل : الآية : 60.
7. سورة البقرة : الآية : 29 ، ووردت هذه الجملة في سورة الحديد: الآية : 3.
8. سورة الروم : الآية : 50،وردت هذه الجملة في سورة الحديد : الآية : 2.

*** المبتدأ اسم إشارة والخبر نكرة:**

ولم يأت على هذا النمط سوى جملة واحدة تكررت في سورتين :

"ذلك تقدير العزيز العليم"[1]

- **المبتدأ ضميرًا والخبر جملة فعلية:**

وممّا جاء وفق هذه الصورة قوله تعالى:

- "وأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ" [2]
- "ثُمّ أنتم تمترون" [3]
- "وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ" [4]
- "فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ [5]

و في الأمثلة السابقة جاء المبتدأ ضميرًا منفصلًا، و الخبر جملة فعلية فعلها مضارع، والبنية العميقة للجملة المضارعية على الترتيب(و أنتم عالمون)، (ثم أنتم ممترون)، (وبالنجم هم مهتدون)،(فإذا انتم منه موقدون)، وعلى الرغم من كون الضمير ــ الذي هو مبتدأ ــ ثابتًا لا يدلّ على حركة أوفعل، مكتفيًا بتحديد الجنس فقط، فإن الجملة الفعلية الواقعة خبرًا أكسبت الآية دلالة على الحدث و الحدوث المتكرر، ومزاولة الفعل و تجدده، ممّا يوحي بتفاصيل المعنى الذي يحمله كل فعل، على نحو يجعل الصورة مليئة بالحركة، مفعمة بالحياة .

*** المبتدأ اسمًا موصولًا والخبر جملة فعلية:**

و جاء على هذا النمط جملتان فقط هما قوله تعالى:

- " الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ [6]
- "وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ" [7]

---

1. سورة الروم : الآية : 20 .
2. سورة البقرة : الآية : 22.
3. سورة الأنعام : الآية : 2 .
4. سورة النحل: الآية : 16 ,
5. سورة يس : الآية : 80 .
6. سورة الأنعام: الآية : 1 .
7. سورة فاطر: الآية : 13 .

*** المبتدأ معرفة والخبر نكرة :**

و ممّا جاء على هذا النمط قوله تعالى:

- "وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (1)
- "وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ" (2)

وفي هذين المثالين جاء المبتدأ (لفظ الجلالة)، مفصولًا عن خبره بشبه جملة، في حين جاء الخبر نكرة، و تجدر الإشارة إلى أن تقدم شبه الجملة على الخبر كان لإفادة الاختصاص.

*** المبتدأ معرفة والخبر شبه جملة :**

و لم يأت على هذا النمط سوى جملتين وهما قوله تعالى :

- " وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (3)
- " وَإِلَيْهِ النُّشُورُ " (4)

و المبتدأ في هذين المثالين تأخر عن خبره شبه الجملة على الرغم من كون المبتدأ معرفة، وكان هذا التقدم لإفادة الاختصاص.

*** المبتدأ معرفة والخبر جملة فعلية منفية:**

و لم يأت على هذا النمط سوى جملة واحدة هي قوله تعالى:

"بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ" (5)

فالجملة المضارعية البسيطة المنفية (لا يعقلون)، وظيفتها خبر للمبتدأ (أكثرهم)،وبنيتها العميقة(غير عاقلين)، وهي تدلّ على تأكيد نفي تعقلهم، إضافة إلى دلالة نفي التجدد التي دل عليها نفي الفعل.

***المبتدأ نكرة والخبر جملة فعلية:**

و لم يأت على هذا النمط سوى جملة واحدة هي قوله تعالى :

---

1. سورة آل عمران: الآية : 189 .
2. سورة الحديد: الآية : 4 .
3. سورة التغابن: الآية : 3 .
4. سورة الملك: الآية : 15 .
5. سورة العنكبوت: الآية : 63 .

" وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُون " [1]

أنماط الجمل الإسمية المنسوخة بالحرف :

وممّا هو جدير بالذكر أن الجملة الاسمية في خاتمة الآيات الكونية والإنسانية، لم تأت على هيئة واحدة، فهناك جمل اسمية منسوخة بالحرف، وأخرى منسوخة بالفعل، تعددت أنماطها وتنوعت صورها، والنواسخ كما هو معلوم: "الكلمات التي تدخل على المبتدأ والخبر، فتغير اسمهما و حركة إعرابهما و مكان المبتدأ،و سميت نواسخ لأنها تحدث نسخًا أي تغييرًا على الوجه الذي شرحناه[2]

والنواسخ أنواع : منها ما يرفع المبتدأ وينصب الخبر، مثل : كان وأخواتها، ومنها ما ينصب المبتدأ ويرفع الخبر، مثل: إن وأخواتها، ومنها ما ينصب الاثنين ولا يستغني عن الفاعل، مثل: ظنّ وأخواتها. [3]

وقد جاءت معظم الجمل في خاتمة الآيات الكونية و الإنسانية، منسوخة بـ (إنّ) وأخواتها أنّ و لكنّ و لعلّ، إلا أن الجمل المؤكدة ب (إنّ) فاقت تلك المنسوخة بأخواتها بشكل لافت، أمّا الجمل الاسمية التي تتصدرها كان أوإحدى أخواتها فقد كانت محدودة العدد، ولم ترد في خاتمة الآيات أية جملة اسمية منسوخة بظن أو إحدى أخواتها، وقد يكون مرد ذلك إلى أنّ المراد من الآيات الكونية الاستدلال على الخالق والإيمان به، ولا يستقيم دليل الإيمان على فعل ظنيّ، إذ إن الدليل القائم على الظن، دليل باطل لاحجة فيه.

وتعد إنّ وأخواتها "من نواسخ الابتداء المشبهة بالفعل[4]، فهي تدخل على الجملة الاسمية فتنصب المبتدأ وترفع الخبر، قال سيبويه:" وذلك قولك إنّ زيدًا منطلق، وإن عمرًا مسافر، و إن زيدًا أخوك، وكذلك أخواتها[5]، وإنّ تكون للتوكيد في الجملة الاسمية، وتدخل على المبتدأ و الخبر، فتنصب المبتدأ ويسمى اسمها، وترفع الخبر ويسمى خبرها[6].

---

1. سورة يس: الآية : 40 .
2. **النحو الوافي**، 392/1 .
3. ينظر: المصدر السابق،393/1 .
4. السيوطي: **همع الهوامع**، 2/ 148 .
5. سيبويه: **الكتاب**،2/ 131 .
6. ينظر ابن هشام: **مغني اللبيب**، 37/1 .

ولا بد من الإشارة إلى أن أهمية (إنّ) لا تقتصر على توكيد المعنى، و إنما تتعداه لتـــربط الجملة بما قبلها و تتحد به، و كأن الكلام قد أفرغ إفراغًا واحدًا، واتسقت جمله كما لو أن إحداها قد سبكت في الأخرى [1]

أنماط الجملة الإسمية المؤكدة ب (إنّ):

*** إنّ و اسمها المقترن بلام الابتداء، و خبرها شبه الجملة :**

والآيات التي جاءت وفق هذا النمط كثيرة، بل إن هناك جملًا بعينها تكررت في غير سورة، أشارت إليها الباحثة في الهامش، أمّا الآيات التي وردت وفق الصورة المذكورة أعلاه فهـــي :

"إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ "[2]
"إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ"[3]
"إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ[4]
"إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ" [5]
"إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" [6]
"إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ" [7]
"إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ" [8]
"إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لِقَـــوْمٍ يَعْقِلُونَ" [9]
"إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ" [10]

---

1. ينظر، الجرجاني: **دلائل الإعجاز** 2004م، ص .316
2. سورة الأنعام: الآية : 99 .
3. سورة يونس: الآية : 67، ووردت أيضًا في سورة الروم : الآية : 23 .
4. سورة الرعد: الآية: 3 ووردت في سورة الروم: الآية: 21 ، سورة الزمر:الآية: 42، سورة الجاثية: الآية: 13
5. سورة الرعد: الآية : 4، ووردت في سورة النحل : الآية 12: ، سورة الروم: الآية : 24 .
6. سورة النحل: الآية : 11، ووردت في السورة ذاتها آية 69 .
7. سورة النحل: الآية : 13 .
8. سورة النحل : الآية : 65 .
9. سورة النحل: الآية : 67 .
10. سورة النور: الآية : 44 .

"إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ" [1]
"إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ" [2]
"إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ" [3]
"إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ" [4]
"إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" [5]

وأول ما يطالعنا في الأمثلة السابقة هذا القالب اللغوي الذي يكاد يكون واحـدًا، باسـتثناء فاصلة الآية، ففي الأمثلة السابقة جميعها كانت الجمل الاسمية مؤكدة ب (إن)، التي تقدم خبرهـا شبه الجملة(في ذلك) وجوبًا، على اسمها المقترن بلام الابتداء، وهذه المساحة المشـتركة بـين الأمثلة السابقة لم تأت من فراغ، فهذا التكرار لم يكن عبثًا، لا سيما أنه ورد في آيـات تشـترك معًا في مضمونها تقريبًا، والهدف من وراء هذا التكرار تأكيد المعنى وترسيخه، إضافة إلـى أن التعريف بالإشارة (ذلك) أفاد تعظيم المشار إليه، ويلاحظ أن التوكيد في هذه الجمل خرج عـن معناه الحقيقي ليفيد التذكير والتنبيه، إضافة إلى أنّ هذه الجمل كانت مؤكدة بإنّ و الـلام، وهـذا منطقي فهي خواتيم لآيات متضمنة لمظاهر كونية و إنسانية، وهذه المظاهرحقائق لذلك جـاءت الخاتمة على هذه الدرجة من التأكيد .

واللام المقترنة باسم إنّ لام الابتداء أصلًا، وهي تفيد التوكيد، ويطلق عليها إذا اتصلت بخبر (إنّ) اسم اللام المزحلقة، لأنها تزحلقت عن صدر الجملة، كراهية الابتداء بمؤكدين، إذ إن(إنّ) تعـد أقوى من لام الابتداء لأنها عاملة[6]، وكسر همزة إن واجب في الأمثلة السابقة جميعهـا، لأنهـا وقعت قبل اللام المعلقة.[7]

---

1. سورة العنكبوت: الآية : 44.
2. سورة الروم: الآية : 22.
3. سورة لقمان: الآية : 31، ووردت في سورة الشورى: الآية : 33 .
4. سورة الزمر: الآية : 21.
5. سورة النحل: الآية : 79، سورة النمل: الآية : 86، سورة الروم: الآية : 37، سورة الزمر: الآية : 5 .
6. ينظر **مغني اللبيب** 228/1، و ينظر أيضًا، **النحو الوافي:** الحاشية ص 481 .
7. ينظر، **شرح شذور الذهب** ص205 .

وربما يتساءل البعض عن سبب تأكيد هذه الجمل، والظواهر الكونيـــة والإنســـانية بـــارزة ظاهرة لكل متبصر متمعن، والسبب فيما نرى أن الألفة ذهبت بجمال هذه الظواهر في أعيننـــا، ممّا جعل المرء يمرّ عليها دون اكتراث، ولذلك جاءت الخواتيم مؤكدة لتلفت القارئ والسامع إلى ضرورة الالتفات لمثل هذه المشاهدات، فالخبر المؤكد أكثر تأثيرًا من غيره من الأخبار، إضافة إلى أن هذا التأكيد لم يفد التذكير فحسب، بل إنه يحمل في طياته حثًّا وحضًّا على القيام بالأفعال المذكورة في جملة الخاتمة.

- **إنّ واسمها(معرفة)، و خبرها متعددًا مقترنًا باللام المزحلقة:**

والآيات التي جاءت على هذا النمط هي قوله تعالى:

"إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ" [1]

" إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ "[2]

وفي المثالين السابقين وردت الجمل الاسمية مؤكدة ب(إنّ) وكان اســـمها معرفـــة، وخبرهـــا متعددًا، إضافة إلى أن الخبر الأول في كل من الآيتين جاء مقترنًا باللام المزحلقة، وممّا يلفت أن الأخبار جميعها جاءت صيغة مبالغة لاسم الفاعل، ولذلك دلالة تتعلق بمعنى الآيات الذي يتطلب الزيادة في معنى الفعل، للدلالة على تجاوز الإنسان في طغيانه، وجحوده وظلمـــه فـــي الآيـــة الأولى، وللتأكيد على رأفة الله البالغة ورحمته اللامتناهية في الآية الثانية، واللافـــت أن الجملـــة الاسمية جاءت مؤكدة بمؤكدين هما: إن واللام، وقد انسجم هذا التأكيد مع مجيء الأخبار صيغة مبالغة، زيادة في التأكيد.

- **إنّ و اسمها، وخبرها المقترن باللام المزحلقة:**

"إن الإنسان لكفور "[3]

" وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ" [4]

---

1. سورة إبراهيم: الآية : 34.
2. سورة الحج: الآية : 65.
3. سورة الحج: الآية : 66 .
4. سورة الروم: الآية : 8 .

واللافت أن الآيتين السابقتين لم تأتيا على هيئة واحدة فقط، بل كان المعنى فيهما واحدًا تقريبًا، إضافة إلى أنهما وردتا مؤكدتين بمؤكدين هما إنّ واللام، ولهذا دلالة عميقة، فالخبر إنكاري في هيئته، فالإنسان جاحد بطبعه، لا يذكر نعم الله عليه، وفي الوقت ذاته جاءت الجمل مؤكدة لإثبات هذه الحقيقة، فصيغة المبالغة (فَعول) أضافت إلى الجملة الأولى معنى التأكيد، وصيغة الجمع (كافرون) أيضًا توحي بالكثرة، وهذا كله يرسخ المعنى المراد، ويثبت الحقيقة التي نصّت عليها جملة الخاتمة.

- **إنّ واسمها (معرفة)، وخبرها (نكرة):**

والآيات المدرجة تحت هذا النمط هي قوله تعالى:

"إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" [1]

إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ" [2]

" إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"[3]

والجمل السابقة وردت على صورة واحدة تقريبًا، فقد جاءت مؤلفة من:

إن+ اسمها معرفة+ شبه جملة+خبرها نكرة.

ولا بد من التنبيه إلى أن هذه الجمل في معناها كانت متقاربة نوعًا ما، فدلالتها العميقة تشير إلى صفات الله عزّ وجلّ، القدرة والعلم التامّين، إضافة إلى أن هذه الجمل جاءت مؤكدة (بـإنّ) ممّا أكسبها عمقًا دلاليًا، وبدت صيغ المبالغة فيها متناسقة مع معنى التوكيد، حيث أفادت زيادة في المعنى الأصلي، ومنحت السياق قوة في المعنى.

- **إنّ واسمها (معرفة)، وخبرها متعددًا:**

وجاء على هذا النمط آية واحدة هي قوله تعالى:

" إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ " [4]

وهذه الجملة أيضًا وردت مؤكدة، مشفوعة بصيغة مبالغة أضفت على التركيب عمقًا.

---

1. سورة العنكبوت: الآية : 62 .
2. سورة فاطر: الآية : 11 .
3. سورة النور: الآية : 45، ووردت في سورة العنكبوت: الآية : 20.
4. سورة الحج: الآية : 62 .

- **إنّ واسمها ضميرًا متصلًا(نا)، وخبرها مقترنًا باللام المزحلقة:**

ولم يرد على هذا النمط سوى جملة واحدة، وهي قوله تعالى:

" وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ "[1]

وتتبدى لنا في هذه الجملة معاني التناسق والتلاؤم بين تركيبها العامّ من جهة، وتركيب مفرداتها من جهة أخرى، فأول ما يطالعنا فيها أنها جاءت مؤكدة بإنّ و اللام، هذا على مستوى التركيب العامّ لها، أمّا ألفاظها ومفرادتها فقد جاءت منسجمة مع هذا التركيب الذي أفاد التوكيد، فالمعنى العام لهذه الجملة قدرة الله اللامتناهية، والتأكيد هنا لإثبات هذه الحقيقة، وجدير بالملاحظة أن اسمّ إن ضمير متصل (نا)، وهو يدل على القدرة و التعظيم، وهذا يتلاءم مع الخبر (قادرون) الذي جاء بصيغة الجمع، إضافة إلى أن المصدر(ذهاب) جاء مصدرًا صريحًا، ولم يأت مؤولًا(أن نذهب)، وفي هذا التركيب طولٌ مقارنة مع المصدر الصريح، والمقام مقام قدرة وقوة، وذلك يتطلب سرعة يلائمها المصدر الصريح أكثر من المؤول.

- **إنّ واسمها ضميرًا متصلًا(الهاء)، وخبرها (نكرة):**

والآيات الدارجة وفق هذا النمط قوله تعالى:

"إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" [2]

" إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " [3]

" إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ "[4]

" إِنَّهُ خَبِيرٌبِمَا تَفْعَلُونَ "[5]

وأول ما يلفتنا في هذه الأمثلة أن اسم (إنّ)كان واحدًا ، وهو (الهاء) التي تعود على لفظ الجلالة، وأن خبرها كان واحدًا من أسماء الله الحسنى، وكل هذه الأسماء كانت على صيغة (فعيل)، وممّا يلفت في الأمثلة الثلاثة الأولى، أن اسم إن جاء مفصولًا عن خبرها بشبه جملة، والتقديم هنا أفاد الاختصاص، إضافة إلى أن لتكرار(كل ، شيء) في هذه الأمثلة، دلالة على إحاطة الله المطلقة بكل ما في الكون، وتاكيدًا على كمال صفات الله المذكورة، حيث تفيد (كل) الشمولية، لاسيما إذا أضيفت ل(شيء)، وهذا ما أكسبها عمقًا أكثر.

1. سورة المؤمنون: الآية : 18 .
2. سورة الشورى: الآية : 12 .
3. سورة الاحقاف: الآية : 33، ووردت في سورة فصلت : الآية : 39 .
4. سورة الملك: الآية : 19.
5. سورة النمل: الآية : 88 .

الجمل الاسمية المؤكدة ب (أنّ) :

وكَون الآيات المؤكدة ب(أنّ) _ في جملة الخاتمة _ قليلة لا تتجاوز الأربعة، فإن الباحثة لن تعرض لأنماطها، وإنما ستدرجها معًا، و(أنّ) كما هو معلوم من أخوات إنّ " وهي حرف توكيد ، تنصب الاسم وترفع الخبر" [1]، ولن نكتفي هنا بعرض جملة الخاتمة في الآيات، وإنما سنورد الآية كاملة، لعلاقة الجملة في صدرها بالجملة في خاتمتها.

والآيات التي جاءت جملة الخاتمة فيها مؤكدة ب (أنّ)، هي قوله تعالى:

" ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [2]

" ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ " [3]

وجدير بالذكر أن فتح همزة (أنّ) في جملتي الخاتمة في الآيتين السابقتين واجب، لأنهما جاءتا معطوفتين على الجملة في الصدر، فقد وقعتا تابعتين لجملة أن المجرورة بالحرف[4].

وفي قوله تعالى " أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ" [5]، وجب فتح همزة (أنّ) التي تتصدر جملة الخاتمة، لأن الجملة وقعت تابعة لجملة المفعول به لغير القول[6]، بمعنى أنها جاءت معطوفة على جملة (أنّ) التي في الصدر والتي وقعت مفعولًا به للفعل (تَرَ)، والتقدير : ألم تر أن الله بما تعملون خبير.

---

1. **مغني اللبيب**، 39/1
2. سورة الحج: الآية : 6
3 سورة الحج: الآية : 61
4. **شذور الذهب** ص 207
5. سورة لقمان: الآية : 29
6. **شذور الذهب** ص 207

وشبيه بذلك قوله تعالى:" اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا "[1]، حيث وجب فتح همزة (أنّ) التي تتصدر جملة الخاتمة، لأن الجملة وقعت تابعة لجملة المفعول به لغير القول، حيث جاءت معطوفة على جملة (أنّ) التي في الصدر، والتي سدت مسد مفعولي (علم)، والتقدير : اعلموا أن الله قد أحاط بكل شيء علمًا .

أنماط الجملة الاسمية المنسوخة بِ (لعل) :

لعل: حرف ينصب الاسم، و يرفع الخبر، و هو يفيد التوقع،و الترجي و الإشفاق و التعليل.[2]، ولم تتعدد أنماط الجملة الاسمية المنسوخة ب (لعل)، حيث جاءت الجمل كلها على نمط واحد، وانطوت تحت شكل واحد هو:

*** لعل و اسمها ضميرًا متصلًا و خبرها جملة فعلية:**

و الآيات التي جاءت وفق هذه الصورة، قوله تعالى :

"لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" [3]

"لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ"[4]

"وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ"[5]

"لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ" [6]

" لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ " [7]

" لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ " [8]

"وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" [9]

---

1. سورة الطلاق: الآية : 12.
2. ينظر **مغني اللبيب1/** 290 أيضا ينظر **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك** ج1 ص.238
3. سورة البقرة: الآية : 21.
4. سورة الاعراف: الآية : 57.
5. سورة : الآية : الجاثية 12، وورد أيضًا في سورة الروم : الآية : 46، سورة القصص: الآية : 73، سورة النحل: الآية : 78، 14.
6. سورة النحل: الآية : 15.
7. سورة النحل: الآية : 81.
8. سورة الانبياء: الآية : 31.
9. سورة فاطر: الآية: 12.

"لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُم تُوقِنُونَ"[1].
"وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" [2].

وفي الجمل السابقة جميعها كان اسم (لعل) ضميرًا متصلًا، سواء أكان للغائب (الهاء)، أو المخاطب (الكاف)، و الضمير المتصل كما هو معلوم: كل ضمير يقع في آخر الكلمة، مع استحالة وقوعه في صدرها أو صدر جملتها[3].

أمّا خبر(لعل) فقد جاء واحدًا من الأفعال الخمسة، وهي: كل فعل مضارع اتصل به ألف اثنين، أو واو جماعة، أو ياء مخاطبة، ترفع بثبوت النون، وتنصب وتجزم بحذفها، وهذه الأفعال كما هو معلوم تجيء على وزن يفعلان وتفعلان ويفعلون وتفعلون وتفعلين [4]، وممّا تجدر الإشارة إليه أن هذه الأفعال أكسبت المعنى حيوية وتجددًا، ممّا أضفى على النص جوًا من الحركة، حيث توحي هذه الأفعال باستمرارية المعنى الذي تحمله، وتكرار الدلالة التي تتضمنها.

الجمل الاسمية المنسوخة ب (لكنّ) :

و(لكنّ) من أخوات (إنّ): و هو حرف للاستدراك والتوكيد، ينصب المبتدأ و يرفع الخبر"[5]، ولم تأت الجمل التي تتصدرها لكن سوى على هيئة واحدة:

*** لكنّ و اسمها معرفة، و خبرها جملة فعلية منفية بِ لا :**

" وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ " [6]
"وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ" [7]

واللافت في هاتين الجملتين، ورود الخبر منفيًا، فقد جاءت الأفعال المنفية لتدل على مطلق النفي للفعل المذكور مع استغراق زمن الحال والمستقبل.

---

1. سورة الرعد: الآية : 2 .
2. سورة غافر: الآية : 67، ووردت في سورة الحديد: الآية : 17 ، سورة البقرة : الآية : 73.
3. ينظر **النحو الوافي**، 147/1.
4. ينظر، **شذور الذهب** ، ص61 .
5. **أوضح المسالك** 1/ 237 .
6. سورة غافر: الآية : 57، ووردت في سورة الجاثية : الآية : 26.
7. سورة غافر: الآية : 61 .

وآخر ما سنعرض له فيما يتصل بالجملة الاسمية في خاتمة الآيات الكونية والإنسانية، الجملة الاسمية المنسوخة ب(كان)، و لا بدّ من التنويه إلى أنها دون أخواتها استأثرت بالجمل الاسمية في خاتمة الآيات، وربما يكون السبب في ذلك أن كان قد تدل على معنى الديمومة، لاسيما فيما يتعلق بصفات الله عزّ وجلّ، وتعد كان من النواسخ التي تدخل على المبتدأ و الخبر، فترفع المبتدأ و يسمى اسمها حقيقة، وفاعلها مجازًا، وتنصب الخبر و يسمى خبرها، وتنصب الخبر، ويسمى خبرها حقيقة، ومفعولها مجازًا، وما يجري عليها يجري على سائر أخواتها.[1]

الجمل الإسمية المنسوخة ب (كان) :

*** كان المسبوقة ب (إن) الشرطية، و اسمها و خبرها :**

و الجمل التي وردت وفق هذا النمط، قوله تعالى:

"إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ" [2]

"إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" [3]

"إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ "[4]

*** كان المنفية، و اسمها وخبرها :**

ولم يأت على هذه الهيئة سوى جملة واحدة، هي قوله تعالى:

" وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ " [5]

*** كان و اسمها (معرفة)، وخبرها (نكرة):**

ولم يرد على هذه الصورة سوى جملة واحدة:

" وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا " [6]

و(كان) هنا تدل على معنى الديمومة و الاستمرار، فمن غير المنطقي أن تدل على الزمن الماضي، والمعنى يتطلب غير ذلك، فقدرة الله كانت ومازالت وتظل حاضرة في كل وقت

---

1. ينظر، **شرح شذور الذهب** ص184 .
2. سورة الشعراء: الآية : 24، ووردت أيضًا في سورة الدخان : الآية : 7 .
3. سورة النمل: الآية : 64 .
4. سورة الشعراء: الآية : 28 .
5. سورة الشعراء: الآية : 8 .
6. سورة الفرقان: الآية : 54 .

يقول الزركشي:" وقع في القرآن إخبار الله تعالى عن صفاته الذاتية وغيرها بلفظ (كان) كثيـــرًا، نحو:" وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا"، "وَاسِعًا حَكِيمًا"، " غَفُورًا رَحِيمًا"،" تَوَّابًا رَحِيمًا"، " وَكُنَّا بِكُلِّ شَيءٍ عَالِمِينَ"، " وَكُنَّا لِحُكْمِهِم شَاهِدِين"، فحيث وقع الإخبار" بكان" عن صفة ذاتية؛ فـــالمراد الإخبـــار عن وجودها، وأنها لم تفارق ذاته، ولهذا يقررها بعضهم بمازال" [1]، وجاء في لسان العرب"من شواهدها بمعنى اتصالِ الزمانِ من غير انقطاع قولُه سبحانه وتعالى: وكان الله غفورًا رحيمًـــا؛ أي لم يَزَلْ على ذلك"[2]، وهذا ما يفسر وجودها في جملة الخاتمة دون أخواتها، فهي قد تدل على زمن مستمر لا ينقطع .

2. الجملة الفعلية:

و مما يلفت في خاتمة الآيات الكونية و الإنسانية، كثرة الجمل الفعلية، وتعدد سياقاتها، وتنوع أشكالها، إضافة إلى كونها ــ في الأعمّ الأغلب ــ مثبتة، و الجملة الفعلية تشمل: الجملة الفعليـــة ذات الفعل اللازم، وذات الفعل المتعدي لمفعول أوأكثر.

والجملة الفعلية ذات الفعل اللازم هي:" التي يكتفي فعلها بفاعله" [3]، "أما الفاعـــل الـــذي لا يتعداه فعله ، فقولك: ذهب زيد ، جلس عمرو" [4]، أمّا الجملة الفعلية ذات الفعل المتعـــدي فهـــي الجملة التي لا يكتفي فعلها بفاعله،بل يتعداه على مفعول أو أكثر.

جملة ذات فعل مضارع، مبدوءة باستفهام:

أداة الاستفهام + الجملة الفعلية ذات فعل من الأفعال الخمسة:

"فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ" [5]

"أَفَلَا تُبْصِرُونَ" [6]

"أَفَلَا تَذَكَّرُونَ" [7]

---

1. **البرهان في علوم القرآن**، 122/4ــ123.
2. **لسان العرب**، مادة (كون) .
3. ابن هشام ، جمال الدين، عبد الله: **شرح شذور الذهب**، مراجعة و تصحيح يوسف الشيخ محمد البقاعي، بيروت دار الفكر،1994م، ص466.
4. سيبويه، **الكتاب**: تحقيق أميل بديع يعقوب، بيروت دار الكتب العلمية، 1999م، 1/ 67 .
5. سورة الاعراف: الآية : 185 .
6. سورة الذاريات: الآية : 21، ووردت في سورة القصص : الآية : 72.
7. سورة النحل: الآية : 17.

"أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ" [1]

"أَفَلَا يُؤْمِنُونَ" [2]

"أَفَلَا تَعْقِلُونَ" [3]

"أَفَلَا تَسْمَعُونَ" [4]

"أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ" [5]

" أَفَلَا يُبْصِرُونَ" [6]

"أَفَلَا يَشْكُرُونَ" [7]

" فَأَنَّى تُصْرَفُونَ"[8]

"فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ" [9]

وفي الأمثلة السابقة جاءت الجمل الفعلية مسبوقة باستفهام، أفاد معنى الإنكار و التــوبيخ، و في الوقت ذاته، كان يحمل معنى الحض والحث على القيام بالفعل المــذكور، وهــذه الأفعــال المضارعة أكسبت المعنى حركة مستمرة دائمة، فكانت هذه الآيات صالحة لكــل زمــان، فهــذا التجدد المرافق لدلالتها جعلها مناسبة للمقام الذي تذكر فيه، فليس من أحد يقرأ هــذه الآيــات إلا تنبه إن كان غافلًا، واستشعر هذا التوبيخ والإنكار، إن كان معرضًا عــن آيــات الله، ومفاعيــل الأفعال المبنية للمعلوم محذوفة لدلالة السياق عليها من جهة، ولمراعاة النظم القرآني من جهــة أخرى، أمّا الأفعال المبنية للمجهول فقد حذف الفاعلون فيها تقليلًا من شــأنهم، وتصــغيرًا لهــم ولأفعالهم.

---

1. سورة : النحل: الآية 52.
2. سورة الأنبياء: الآية : 30.
3. سورة المؤمنون: الآية : 80.
4. سورة القصص: الآية : 71.
5. سورة : السجدة: الآية 4.
6. سورة السجدة: الآية : 27.
7. سورة يس: الآية : 35، ووردت في سورة يس : الآية : 73.
8. سورة الزمر: الآية : 6.
9. سورة غافر: الآية : 62.

*** جملة ذات فعل ماض لازم:**

" تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ " [1]

"تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ" [2]

"تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ "[3]

" حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ " [4]

*** جملة ذات فعل مضارع لازم:**

"تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِيْنَ" [5]

- **جملة ذات فعل ماضٍ متعدٍ :**

وسنقسم الجمل هنا إلى قسمين:

وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ [6]

وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ [7]

فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ [8]

وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ [9]

" فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّىٰ " [10]

" وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا "[11]

"وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ" [12]

---

1. سورة الاعراف: الآية : 54 .
2. سورة النحل: الآية : 3 .
3. سورة النمل : الآية : 63 .
4. سورة يس : الآية : 39 .
5. سورة المؤمنون: الآية : 20 .
6. سورة إبراهيم: الآية : 32 .
7. سورة ابراهيم: الآية : 33 .
8. سورة الحج: الآية : 5 .
9. سورة يس: الآية : 33 .
10. سورة طه: الآية : 53 .
11. سورة الفرقان: الآية : 61 .
12. سورة السجدة : الآية : 7.

"وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ" [1]
"قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآَيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ "[2]
"قَدْ فَصَّلْنَا الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ" [3]
"قَدْ فَصَّلْنَا الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ" [4]
"وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ" [5]

وتشترك هذه الأمثلة معًا في:

1. أنها جمل فعلية، فعلها ماض متعد على مفعول واحد .
2. أن الفاعل فيها هو الله سبحانه وتعالى .
3. أنها تتضمن نعمًا أنعم الله بها على الإنسان،ومنّبهًا على عباده وسائرخلقه .

القسم الثاني:

"لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا [6]
"فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا " [7]

أمّا هذه الأمثلة فكان الفاعل فيها ضميرًا مستترًا في المثال الأول، واسمًا ظاهرًا(الظـــالمون) في المثال الثاني، وممّا يلفت أن فاصلة كل من الآيتين جاءت مصدرًا على صيغة(فَعول)، لإفادة المبالغة.

- **جملة ذات فعل مضارع متعدٍ :**

وأمثلة هذا النمط تقسم على قسمين:

القسم الأول:

" وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ "[8]

1 سورة يس: الآية : 34.
2. سورة الحديد: الآية : 17 .
3. سورة الأنعام: الآية : 97 .
4. سورة الأنعام: الآية : 98 .
5. سورة النحل: الآية : 9 .
6. سورة الفرقان : الآية : 62 .
7. سورة الاسراء: الآية : 99 .
8. سورة آل عمران: الآية : 27 .

" ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ "[1]

"يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ" [2] .

" يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آَبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ " [3] .

"وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ" [4]

"و مَنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى" [5]

"كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" [6]

" وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ " [7]

وهذه الأمثلة تشترك معًا في الجوانب الآتية:

1. الفاعل فيها هو (الله) سبحانه وتعالى.
2. مضمونها متشابه، فهي نعم من الله تعالى، يمن بها على عباده.
3. أن الدلالة العميقة لها تبين كمال صفات الله سبحانه وتعالى، (الخلق العلم القدرة البعث..........

أمّا القسم الثاني من الآيات فهو قوله تعالى :

" وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ " [8]

"حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ" [9]

"قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ" [10]

" قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ" [11]

---

1. سورة الأنعام: الآية : 60 .
2. سورة يونس: الآية : 5 .
3. سورة الدخان: الآية : 8 .
4. سورة النحل: الآية : 8 .
5. سورة طه : الآية : 55 .
6. سورة يونس : الآية : 24 .
7. سورة الانعام: الآية : 3 .
8. سورة النحل: الآية : 5 سورة المؤمنون: الآية : 19: 21 .
9. سورة النحل: الآية : 6 .
10. سورة ا لنمل: الآية : 62 .
11. سورة : السجدة: الآية 9، ووردت في سورة الملك: الآية : 23.

" وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ "[1]

أمّا هذه الأمثلة فقد كان الفاعل فيها (الواو)، والخطاب هنا موجه إلى عامة الناس، ولـــيس منوطًا بأشخاص محددين، فالنعم الواردة في جملة الصدر ليست مقتصرة على فئة دون أخرى،و بالتالي فإن الخطاب في الخاتمة يكون لكل من ذاق حلاوة هذه النعم، والخاتمة فيها تذكير بهــذه النعم وتحريض وحض على شكر الله عليها.

*** الجملة الفعلية المنفية.**

أداة النفي لا + فعل مضارع من الأفعال الخمسة:

"وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ" [2]

"بَل لَا يُوقِنُونَ" [3]

وقد أفاد النفي هنا، النفي المطلق لتجدد هــذه الأفعــال، فكمــا أن المضــارع يــدل علــى الاستمرارية، فإن نفيه يدل على نفي هذه الاستمرارية.

الجملة ذات الفعل المتعدي لمفعولين:

ولم يأت على هذا النمط سوى قوله تعالى:

"فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ" [4]

***جملة فعلية ذات فعل أمر:**

فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ[5]

"فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا"[6] .

---

1. سورة يس: الآية : 71 .
2. سورة يس: الآية : 36 .
3. سورة : الطور: الآية 36 .
4. سورة آل عمران : الآية : 191 .
5. سورة : يونس: الآية 31 .
6. سورة الفرقان: الآية : 59 .

*** جملة ذات فعل مبني للمجهول:**

" ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ " [1]

"وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ" [2]

"وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَع الْأُمُورُ" [3]

" كَيْفَ خُلِقَتْ " [4]

" كَيْفَ رُفِعَتْ " [5]

" كَيْفَ نُصِبَتْ " [6]

" كَيْفَ سُطِحَتْ "[7]

"وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ"[8]

وممّا يلفت هنا أن الأفعال جميعها جاءت مبنية للمجهول،و أن الفاعل في الأمثلة السابقة هــو الله سبحانه وتعالى، و في الأمثلة الثلاثة الاولى تقدم شبه الجملة لإفادة الاختصاص.

---

1. سورة البقرة: الآية : 28 .
2. سورة المؤمنون: الآية : 79،ووردت في سورة الملك : الآية : 24 .
3. سورة الحديد: الآية : 5 .
4. سورة الغاشية: الآية : 17 .
5. سورة الغاشية: الآية : 18 .
6. سورة الغاشية: الآية : 19 .
7. سورة الغاشية: الآية : 20 .
8. سورة غافر: الآية : 80.

جدول الأفعال المضارعة في خواتيم الآيات الكونية والإنسانية :

رقم	الفعل	عدد المرات	السورة ورقم الآية
1	تشكرون	9	النحل14، النمل78، المؤمنون78، القصص73 فاطر12، الروم46، السجدة9، الجاثية12 الملك23
2	تعقلون	7	البقرة73، النحل67، المؤمنون80، الشعراء28 الروم24، غافر67، الحديد17
3	يتفكرون	7	البقرة24، النحل11، الرعد3، الروم21، النمل69 الزمر42، الجاثية3
4	يعلمون	6	الأنعام97، يونس5، النمل61، الزمر57 غافر57، الجاثية26
5	يؤمنون	6	الأنعام99، الأعراف185، الأنبياء30، النمل86 الروم37، الزمر52
6	يعقلون	5	البقرة164، الرعد4، النحل12، العنكبوت63 الجاثية5
7	تذكرون	4	الأعراف57، النحل17، النمل62، الذاريات49
8	تاكلون	4	النحل5، المؤمنون19، المؤمنون21، غافر79
9	تؤفكون	4	الأنعام95، يونس34، فاطر3، غافر62
10	تتقون	3	البقرة21، يونس31، النحل52
11	يسمعون	3	يونس67، النحل65، الروم23
12	تعملون	3	الأنعام60، لقمان29، الحديد4
13	تعلمون	2	البقرة22، النحل8
14	تؤمنون	2	يونس101، النحل79
15	يشركون	2	النحل3، النمل63
16	تهتدون	2	النحل15، الزخرف10
17	يهتدون	2	النحل16، الانبياء31
18	يشكرون	2	ياسين73، غافر61
19	يوقنون	2	الجاثية4، الطور36

رقم	الفعل	عدد المرات	السورة ورقم الآية
20	يؤفكون	2	العنكبوت61، الزخرف87
21	يعدلون	2	الأنعام1، النمل60
22	تحشرون	2	المؤمنون79، الملك24
23	تخرجون	2	الروم19، الزخرف11
24	ترجعون	1	البقرة 28
25	ترزق	1	آل عمران 27
26	تشاء	1	آل عمران 27
27	تمترون	1	الأنعام 2
28	تكسبون	1	الأنعام 3
29	يفقهون	1	الأنعام 98
30	يتقون	1	يونس 6
31	يفصل	1	يونس 5
32	توقنون	1	الرعد 2
33	تريحون	1	النحل 6
34	تسرحون	1	النحل 6
35	يخلق	1	النحل 8
36	تسيمون	1	النحل 10
37	يذكرون	1	النحل 13
38	يعرشون	1	النحل 68
39	تسلمون	1	النحل 81
40	يسبحون	1	الأنبياء 33
41	نسقيه	1	الفرقان 49
42	يذكر	1	الفرقان 62
43	تفعلون	1	النمل 88
44	تسمعون	1	القصص 71
45	تبصرون	1	القصص 72
46	تنتشرون	1	الروم 20

رقم	الفعل	عدد المرات	السورة ورقم الآية
47	تتذكرون	1	السجدة 4
48	يبصرون	1	السجدة 27
49	يملكون	1	فاطر 13
50	يأكلون	1	ياسين 33
51	توقدون	1	ياسين 80
52	تصرفون	1	الزمر 6
53	يتذكر	1	غافر 13
54	ينيب	1	غافر 13
55	يقول	1	غافر 68
56	تحملون	1	غافر 80
57	تعبدون	1	فصلت 37
58	يشاء	1	الشورى 29
59	تركبون	1	الزخرف 12
60	يحيي	1	الدخان 8
61	يميت	1	الدخان 8
61	ترجع	1	الحديد 5

يلاحظ من الجدول السابق أن الجذر (عقل) كان الأكثر تكرارًا، فقد ورد اثنتي عشرة مرة: تعقلون سبع مرات، ويعقلون خمس مرات، وذلك لأن العقل مناط التكليف، وهو موضع التفكير، وإليه مآب الحواس كلّها، ولأن المطلوب في الآيات الكونية والإنسانية إعمال العقل في مظاهرها كافّة، كان لزامًا أن يخاطب العقل أولًا.

ولأن عقال الشيء رباطه، من عقلت الدابة إذا ربطتها برابط، كانت جميع الآيات الكونية بحاجة إلى هذا الرابط الذي يربط الأسباب بمسبباتها، والمخلوقات بخالقها، و الكائنات بمكونها، فكانت تعقلون ويعقلون الأكثر تكرارًا.

ونجد في الجدول أيضًا أن الجذر (شكر)، جاء في المرتبة الثانية ، حيث ورد الفعل تشكرون تسع مرات، في حين ورد الفعل (يشكرون) مرتين، ومرد ذلك ــ والله تعالى أعلــم ــ إلــى أنّ مجمل الآيات الكونية آلاء ونِعم تستوجب شكر منعمها، ولا يشكر الإنســان إلا إذا أدرك حقيقــة النعمة، ولا يدرك الإنسان إلا بعقله، لذلك جاء الشكر بعد العقل، وممّا سبق ندرك أنه لابد منّ أن تعقل الأسباب بمسببها حتى تشكره عليها، فلا يتحقق الشكر بدون العقل.

أمّا الجذران(علم، أمن) فقد تكرارا ثماني مرات، جاءت فيهما يعلمون ست مرات، وتعلمون مرتين، وكذلك يؤمنون ست مرات، وتؤمنون مرتين، ونجد أنها جاء متطابقة في صيغهاــ مــن حيث الغائب والمخاطب ــ ومرات تكرارها لكل منهما، وذلك لأن العلم متلازمة الإيمان، إذ إن العلم شرط الإيمان، يجب أن يعلم المرء أولًا بهذه الآيات الكونية والإنسانية، ثمّ يؤمن بما وراءها ومَن وراءها.

أمّا بقية الأفعال فقد جاءت متناسقة مع مضامين الآيات الكونية والإنسانية، فلا عجب إذًا مــن الدعوة إلى التفكر، ولاغرابة في الحض على تذكّر هذه الآيات، ويذكر أن الحواس التي خاطبها الله تعالى في الخاتمة كانت (السمع والبصر)، وذلك لأنهما المنافذ إلى العقل، وأكثــر الحــواس تواصلًا مع العالم الخارجي.

ويلاحظ أن معظم الأفعال الخمسة كانت بصيغة الخطاب، لأن التوبيخ يكون أشــدّ وأنكــى حين يكون المقصود مخاطبًا وحاضرًا، فذلك أدعى للتقريع، وأشدّ وطأة على النفس.

*** ثانيًا : المبنى البلاغي للجمل :**

و تحت هذا العنوان ستتناول الباحثة المبنى البلاغي للجمل في خاتمة الآيـات الكونيـة و الإنسانية، و ذلك من خلال دراسة هذه الجمل من حيث هي إنشائية أم خبرية، إضافة إلى إبراز المعاني البلاغية لها، وعرض أهم الأساليب البلاغية التي تتضمنها، إضافة إلى توضـيح أبـرز الظواهر الأسلوبية في جملة الخاتمة .

وكما هو معلوم يقسم الكلام إلى إنشاء وخبر، والخبر :" كل قول يحتمل الصدق أو الكـذب لذاته" [1]، أمّا أغراضه فهي:

* أن يكون المستمع جاهلًا ما تتضمنه الجملة من حكم، ويسمى هذا (فائدة الخبر).

* أن يكون المستمع عالمًا بحكم الخبر، لكن المقصود إفهامه بعلم المتكلم بهذا الخبر، ويسمى هذا (لازم الفائدة) .

وتجدر الإشارة إلى أن المخاطب إن كان خالي الذهن، متيقظ الحواس، يلقى إليه الخبر دون أدوات توكيد[2]، ويسمى هذا (الخبر الابتدائي)، أمّا إذا كان المخاطب مترددًا شارد الذهن، فـإن الخبر يلقى مؤكدًا بإحدى أدوات التوكيد، ويسمى هذا (الخبر الطلبي)، وفي حال إنكار المخاطب للخبر إنكارًا تامًا، فإن الخبر يلقى إليه مؤكدًا بأكثر من أداة توكيد، ويسمى هذا: الخبر الإنكاري [3] .

أمّا الإنشاء فهو : " ما ليس يحتمل صدقًا ولا كذبًا"[4]، والإنشاء نوعان [5]:

1. إنشاء طلبي: وهو استدعاء أمر غير حاصل ليحصل، ويشمل الأمر والاستفهام

---

1. القزويني ، جلال الدين: **الإيضاح في علوم البلاغة**، تح محمد عبد المنعم خفاجي، ط3، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، 14413 هـ ـــ 1993م، 15/3 وما بعدها .
2. و أدوات التوكيد هي: لام الابتداء،و إنّ و أنّ و أحرف التنبيه(ألا ، ها، أما)، ونونا التوكيد الخفيفة و الثقيلة، والقسم، و التكرار، وقد، و السين وسوف، و أمّا الشرطية، و ضمير الفعل، و غيرهم.
3. مطلوب، أحمد: **أساليب بلاغية الفصاحة ـــ البلاغة _ المعاني**، ط1، 1980م، ص 91 وما بعدها.
4. العلوي، يحيى بن حمزة بن علي : **كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة و علوم حقائق الإعجاز**، مؤسسة النصر، طهران، لا ط، لا ت، 3/ 293.
5. القزويني، الخطيب: **شرح التلخيص في علوم البلاغة**،ص81، شرحه وخرّج شواهده: محمد هاشم دويدري، منشورات دار الحكمة، دمشق ، 1970م .

والتمني و النداء والنهي.

2. الإنشاء غير الطلبي: وهو ما لا يستدعي مطلوبًا، وله صيغ متعددة، القسم، المدح، الذم، والترجي، والتعجب .

وللإنشاء الطلبي أهمية تكمن في أنه يتولد من أنواعه معان بلاغية متعددة، ولذلك كان محط أنظار البلاغيين، وتجدر الإشارة إلى أن أنواعه(الأمر والاستفهام والتمني والنداء)، سميت إنشائية " لأنها تطالبك أن تنشئ شيئًا بالأمر والنهي، والاستفهام". [1]

الظواهر الأسلوبية في خاتمة الآيات الكونية والإنسانية:

1. **الاستفهام:** وهو طلب المراد من الغير على جهة الاستعلام، وآلاته على نوعين، أسماء وحروف، فالحروف، الهمزة، وهل، لا غير، والأسماء على وجهين أيضًا، ظروف وأسماء، فالظروف الزمانية نحو متى، وأيان، والظروف المكانية نحو أين وأنّى، وأمّا الأسماء فهي مَن، و ما، وكم" [2].

وتعد كثرة الجمل الاستفهامية في خاتمة الآيات الكونية والإنسانية أمرًا لافتًا، لاسيما الاستفهام المبدوء ب (أفلا)، حيث جاءت الهمزة متلوة بنفي، وبالتالي أفادت إنكار النفي في الواقع. فالمخاطبون في جلّ هذه الآيات ملومون على عدم القيام بالفعل المذكور، موبخون عليه، مأمورون به في آن، إذًا " فالهمزة تقرير بفعل قد كان، وإنكار لمَ كان، وتوبيخ لفاعله عليه " [3]

وهذا يعني أن الاستفهام في خاتمة الآيات، قد خرج عن معناه الحقيقي، ليفيد معاني بلاغيةً متعددة أهمها الإنكار والتوبيخ، ومن أوضح الأمثلة على ذلك قوله تعالى: " وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ" [4]، حيث أنكرت الهمزة على المخاطبين

1. السامرائي، إبراهيم: **الأساليب الإنشائية في العربية النمط والاستعمال**، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، آب 1987 م، ص7.
2. يحيى بن حمزة بن علي: **الطراز** 286/3.
3. الجرجاني: **دلائل الإعجاز**، ص114 .
4. سورة المؤمنون: الآية : 80 .

عدم التعقل، ومع ذلك أفادت أيضًا التوبيخ ، حيث أخذ عليهم عدم التعقل وفي الوقت ذاته كـان الاستفهام بمثابة تذكير لهم .

وأهم ما نلحظه أن الصدر في الآية السابقة اشتمل على ظواهر إنسانية تتمثل فـي الخلـق والبعث والموت، وأخرى كونية تتعلق باختلاف الليل والنهار وتعاقبهما، وكل هذه أمور تحتـاج منّا إلى التعقل في كينونتها، والتفكر في كنهها، إلا أن المخاطبين تقاعسوا عن مثل هذه الأفعال ، وبالتالي جاءت الهمزة في الخاتمة لتفيد إنكار تقاعسهم، وتوبيخهم على ذلـك، إضـافة إلـى تذكيرهم بهذا الفعل، ومن هنا قال البعض: (إن الاستفهام تذكير و توبيخ)، واقتصـر بعضـهم على دلالة التذكير.[1]

ومن الأمثلة الأخرى على خروج الاستفهام إلى الإنكار والتوبيخ، قوله تعالى:" قُلْ أَرَأَيْـتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيـهِ أَفَلَـا تُبْصِرُونَ"[2]، حيث أخذ على المخاطبين إعراضهم عن مثل هذه الظواهر الكونية اللافتة، فجـاء الاستفهام في جملة الخاتمة مستنكرًا هذا الإعراض، موبخًا المخاطبين في آن، وكل ذلـك بغيـة تنبيههم و إيقاظهم من غفلتهم، يقول عبد القاهر الجرجاني: " واعلم و إن كنا نفسر الاستفهام في مثل هذا بالإنكار، فإن الذي هو محض المعنى، أنه لينبه السامع حتى يرجع إلى نفسه، فيخجـل ويرتدع ويعيي بالجواب" [3]، وتجدر الإشارة إلى أن الفاء التي تلت الهمزة، كانـت ذات عمـق دلالي ألقى بظلاله على النص والمعنى في آن، حيث "أفادت الفاء ربط ما في حيـز الاسـتفهام، ربط تسبب وترتيب، وقد سبقها ما يراد تأمله"[4].

ومما سبق ندرك أن أهم المعاني التي تفيدها الهمزة مع النفي الإنكار، أي إن المخاطب قـد ترك فعلًا ما كان ينبغي أن يتركه، وبالتالي ترك الفعل قد وقع، إلا أن أسلوب النفي يفيد إنكـار هذا الترك، وفي الوقت ذاته يطلب من المخاطب فعل الفعل المتروك. [5]

---

1. الزركشي: **البرهان في علوم القرآن** 3/ 340 ،و أيضًا السيوطي: الإتقان 80/2 .
2. القصص 72 .
3. الجرجاني عبد القاهر، 119 _ 120 .
4. فودة، عبد العزيز السيد: **أساليب الاستفهام في القرآن**، لاط لا ت، ص.56
5. ينظر المصدر السابق ص 53.

ونلحظ في أساليب (ألا) التي وردت في خاتمة الآيات الكونية والإنسانية، أنهـا جـاءت متلوة بواحد من الأفعال الخمسة، التي كانت ــ في معظمها ــ بصورة الخطاب لا الغيبة، وربما يكون السبب في ذلك أن التوبيخ والإنكار يكونان أجدى نفعًا مع المخاطب لا الغائب. وذلك أدعى للتقريع، وعلى الرغم من كون الأفعال هنا مضارعة، إلا أنها ــ فيما نرى ــ تشـمل الماضـي أيضًا، لكن الفعل جاء مضارعًا للدلالة على الاستمرارية، ومما أوحى باستمرارية الفعـل، تلـك الواو الممتدة قبل النون الرنينية، وكل ذلك أضفى على النص نوعًا من الامتـداد والاسـتمرار، إضافة إلى أن معمول هذه الأفعال محذوف، إذ اكتفت خاتمة هذه الآيات بالفعل المنفي، والتقدير أفلا تعقلون هذه الحقيقة، أفلا تبصرون هذا الأمر، يقول عبد القاهر:" فاعلم أن أغراض النـاس تختلف في ذكرالأفعال المتعدية، فهم يذكرونها تارة، ومرادهم أن يقتصروا على إثبات المعـاني التي اشتقت منها للفاعلين من غير أن يتعرضوا لذكر المفعولين"(1)، ونستخلص من هذا القـول أن ذكر المفعول أو حذفه يتعلق بحال المتكلم، وممّا لا شك فيه أن المفعول في خاتمـة الآيـات الكونية والإنسانية حُذف لدلالة السياق عليه، فهو واضح لا حاجة إلى ذكره .

وقد يخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي، ليفيد التعظيم مع الإنكار والتـوبيخ ، ومـن أبـرز الأمثلة على ذلك قوله تعالى:" وَ يُرِيْكُمْ آيَاْتِهِ فَأَيَّ آيَاْتِ اْللَّهِ تُنْكِرُوْنَ"[2]، حيث أفادت(أي) تعظـيم ما أضيفت إليه، وإنكار الفعل الذي بعده، وليس هناك أدنى شك في أن (آيات الله) التي في الآية هي آيات الله الكونية والإنسانية، بدليل الآيات التي تسبق هذه الآية، حيث اشتملت على ظـواهر تختص بخلق الإنسان، ومراحل تكونه في رحم الأم، إضافة إلى بعض الظواهر الكونية البـارزة .

ومن المعاني البلاغية التي يفيدها الاستفهام، التعظيم والتوبيخ والتعجب معًا، كقوله تعالى: " أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ [3]، حيث أفاد الاستفهام تعظيم حديث الله، وتوبيخ المتحدَث عنهم، والتعجب من فعلهم .

1.الجرجاني **دلائل الإعجاز** 118.

2. سورة غافر: الآية : 81.

3. سورة الأعراف: الآية : 185.

وقد يفيد الاستفهام معنى الإنكار والتوبيخ والتعجب معًا، وذلك من خلال قوله تعالى:" وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ" [1]، ومَنْ أَوْجَد مِن الطبيعي أن يملك، وما كان ليملك لو لم يوجد، وهذه حقيقة لا مفر منها، وبالتالي جاءت الجملة الاستفهامية في الخاتمة لتستنكر الإشراك بالله، وتوبخ الفاعلين، وفي الوقت ذاته تتعجب من عنادهم وغفلتهم.

و من الأمثلة البارزة على خروج الاستفهام إلى الإنكار و التوبيخ و التعجب، قوله تعالى:" ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ"[2]، و في لسان العرب جاء لفظ أفك : "بمعنى الكذب ، لكن نقول : أُفِكَ قوم كذبوك و ظاهروا عليك ، أي صرفوا عن الحق و منعوا منه "[3]، و الآية هنا تشتمل على حقيقة واضحة، لا تخفى على أحد، و هو أن لهذا الكون بكل ما فيه خالقًا واحدًا، إلا أن الإعراض حاصل، و بالتالي جاء الاستفهام في خاتمة الآية يحمل معنى الاستنكار لهذا الفعل، ويوبخ فاعليه، بل ويتعجب من إعراضهم الذي جاوز كل حد، فجعلهم ينكرون حقيقة ظاهرة .

وفي ختام حديثنا عن الاستفهام في خاتمة الآيات الكونية والإنسانية، لا بدّ من الإشارة إلى أن الأمثلة السابقة هي بعض ما ورد في جملة الخاتمة، ومما يلاحظ أن الاستفهام في معظم الآيات قد خرج عن معناه الحقيقي ليفيد معنى الإنكار، ومما لا شك فيه أن لجملة الاستفهام جمالًا أخّاذًا، حيث يؤدي معاني بلاغية تجعل للنص أبعادًا عميقة الأثر في الذات .

2. الالتفات :

وهو كما يقول ابن المعتز: " انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك، ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر" [4]، ويعد من الظواهر الأسلوبية اللافتة، حيث ينشط ذهن السامع، وينبهه في أغلب الأحيان، ويكمن جماله في انتقاله من أسلوب إلى أسلوب، مما يعمق المعنى في

1. سورة النحل: الآية : 52.
2. سورة غافر : الآية : 62 .
3. ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (أفك).
4. ابن المعتز: **البديع** ص58.

الذات، ويرسخ الفكرة في الذهن، وينبه العقول، يقول صاحب الطراز: " يعد الالتفــات إيقاظًــا للسامع عن الغفلة، وتطريبًا له بنقله من خطاب إلى آخر، فإن السامع ربما ملّ من أسلوب فينقله إلى أسلوب آخر" [1].

وللالتفات أنواع متعددة، تختلف باختلاف الأساليب، فالرجوع من الغيبة إلـــى الخطــــاب يختلف عن الرجوع من الخطاب إلى الغيبة، والانتقال من التكلم إلى الخطاب، يختلف عــن الانتقال من الخطاب إلى التكلم، وما إلى ذلك من بقية أنواع الالتفات، التي لا يعنينا في هــذا البحث سوى الجزء الأول منها، وهو أسلوب الرجوع من الخطاب إلى الغيبة.

ومن الأمثلة على الرجوع من الخطاب إلى الغيبة قوله تعالى: " وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ" [2]، حيث عدل عن الخطـــاب إلى الغيبة، ففي صدر الآية كان الكلام موجّهًا للمخاطبين حين قال (لكم) ،(لتهتدوا)، إلا أنه في جملة الخاتمة عدل عن الخطاب إلى الغيبة حين قال (يعقلون)، و كأنه يتحدث عــن أشــخاص آخرين، و لذلك معان بلاغية لافتة، إذ الحديث مع المخاطب بصيغة الغائب، تقليل مــن شــأنه، وعدم اكتراث لوجوده، وكأن السياق في الصدر كان خاصًّا موجّهًا لفئة معينة، إلا أنه في جملــة الخاتمة بدا عامًّا، إذ انتقلت دلالته من العموم إلى الخصوص .

ومن أوضح الأمثلة على ذلك قوله تعالى:"يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّــمْسَ وَالْقَمَــرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ"[3]، حيث كانت الضمائر في صدر هــذه الآيــات كلهــا ضــمائر مخاطبة، إلا أنه في جملة الخاتمة في الآيات جميعها، عدل عن الخطاب إلى الغيبة، (يتفكــرون، يعقلون، يذّكرون)، يقول الزركشي: " و فائدة العدول عن خطابهم إلى حكاية حـــالهم لغيـــرهم، لتعجّبه من فعلهم و كفرهم، إذ لو استمر على خطابهم لفاتت تلك الفائدة" [3].

1. العلوي، **الطراز**، ص.266.
2. سورة الأنعام: الآية : 97 .
3. سورة النحل: الآية : 11ــ 13 .
4. **البرهان في علوم القرآن**، 318/3.

ومثال أخير نختم به حديثنا عن الالتفات، و هو قوله تعالى: "أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ"[1]، حيث عدل فيه عن الخطاب(يهديكم) إلى الغيبة (يشركون)، وفي ذلك تقريع للمخاطب، وتقليل من شأنه، فما اقترفه أمر عظيم، يختفي أمامه كل ظاهر، لذلك كان لا بدّ من العدول في الخاتمة إلى ضمير الغائب .

3. التعريف و التنكير:

يعرّف ابن عصفور المعرفة والنكرة بقوله: " النكرة كل ما علق في أول أحواله على الشياع في مدلوله. والمعرفة كل ما علق في أول أحواله على ان يخصّ مسماه"[2]، ومن هذا التعريف نخلص إلى نتجة مفادها: أن التعريف في الأصل يكون للدلالة على الخصوص، بينما يدلّ التنكير على العموم .

وللتعريف طرائق متعددة أهمها التعريف (بأل)، والإضافة إلى معرفة، والتعريف بالإشارة، والتعريف بالاسم الموصول، ولكل واحد من هذه الأنواع معانٍ بلاغية عميقة .

التعريف (بِأل) :

يقسم علماء النحو والبلاغة (أل) التعريف على نوعين: العهدية والجنسية، وفي أل العهدية "يذكر المسند إليه نكرة في الكلام، ثم يعاد ذكره معرّفًا ب (أل)، فيصبح (معهودًا)، بسبب ذكره السابق في الكلام، ومن الأمثلة على ذلك " كما أرسلنا إلى فرعون رسولًا فعصى فرعون الرسول"[3]

وأمّا (أل) الجنسية فإمّا أن تكون لاستغراق الأفراد، وهي التي تخلفها كل حقيقة، نحو " وخلق الإنسان ضعيفًا"، أو لاستغراق خصائص الأفراد نحو: زيد الرجل علمًا، أي الكامل في هذه الصفة، أو لتعريف الماهية، نحو " وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ " [5]

---

1. سورة النمل: الآية : 63.
2. ابن عصفور الإشبيلي،علي بن مؤمن: **شرح جمل الزجاجي**،تح: صاحب أبو جناح، الموصل،1980م،134/2.
3. العلوي، يحيى بن حمزة بن علي : كتاب **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة و علوم حقائق الإعجاز.** مؤسسة النصر، طهران، د.ط د. ت .
4. ابن هشام: **مغني اللبيب** 50/1 .
5. ينظر، المصدر السابق 1/ 51 .

المعاني البلاغية للتعريف (بأل) :

1. **استغراق الجنس:** ومن أبرز الأمثلة على ذلك قوله تعالى:" إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ"[1] حيث دل لفظ (الإنسان) المعرف (بأل) على الجنس البشري، واشتمل على حقيقة تختص بطبيعة الإنسان، "ويقصد بها الحقيقة، باعتبار كلية ذلك المعنى، وتعرف بأنها التي إذا نزعت حسن أن يخلفها(كل)، وتفيد معناها الذي وضعت له حقيقة، ويلزم من ذلك الدلالة على شمول الأفراد، وهي الاستغراقية"[2]

ومن الأمثلة الأخرى على دلالة (أل التعريف)على استغراق الجنس، قوله تعالى: "وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ [3]، والمقصود هنا من عَلِم ومن لم يَعلم، حيث أفاد التعريف (العموم)، و لم يقتصر على من كان عالِمًا فحسب، بل تجاوزه ليشمل أفراد الجنس جميعًا.

2. **المبالغة** : وهي من الفنون والمحسنات التي تضفي على الكلام رونقًا وجمالًا، وهي أصلًا:" أن تثبت للشيء وصفًا من الأوصاف تقصد فيه الزيادة على غيره"[4] .

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى، " وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ"[5] و(الحكيم الخبير) لفظان معرفان (بأل)، أريد بهما إثبات الكمال في هاتين الصفتين لله وحده، وذلك وفقًا لما جاء به عبد القاهر حين قال:" تقصر جنس المعنى على المخبر عنه لقصدك المبالغة، تريد أنه الكامل "[6].

---

1. سورة إبراهيم: الآية : 34 .
2. الزركشي: **البرهان في علوم القرآن**، 89./4.
3. سورة الروم: الآية : 22.
4. **الطراز** 116/3 .
5. سورة الأنعام : الآية : 73.
6. الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص179.

ومثال آخر على دلالة (أل التعريف) على الكمال، قوله تعالى:" وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ " [1]، حيث أفاد التعريف هنا في لفظي (السميع و العليم)، بلوغ هاتين الصفتين، غايتهما، ووصولهما حدّ الكمال .

أمّا في قوله تعالى:" أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ [2]، فقد وردت كلمة (الماء) معرّفة (بأل)، والمقصود من هذا التعريف توضيح الماهية، والغرض من ذلك كما يقول الزركشي:" أن يقصره على وجه الحقيقة لا المبالغة"[3]، فالتعريف أفادنا في إدراك سر الحياة، فوضح لنا ماهيته، وهو الماء وليس أي شيء آخر.

وتجدر الإشارة إلى أنه في بعض الأحيان قد ترد الكلمة المعرّفة مرتين، بحيث يكون هناك فاصل بينهما، وبالتالي تدلّ الأولى على الاستغراق لكل أفراد الجنس(تعميم)، والثانية تكون خاصّة فتفيد التخصيص[4]، ومن أبرز الأمثلة على ذلك قوله تعالى: " اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ" [5]، فالكلمة الأولى (الناس)، أفادت الناس جميعهم، و بالتالي أفاد التعريف فيها التعميم، أمّا الكلمة الثانية ــ وهي ما تعنينا ــ فقد جاءت معرّفة (بأل)، إلا أن هذا التعريف أفاد التخصيص، بالمقارنة مع ما دلّت عليه الكلمة الأولى التي تعدّ أعمّ وأشمل لأفراد الجنس البشري .

ونظير ذلك قوله تعالى:" لَخَلْقُ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ "[6]، حيث دلّت الكلمة الأولى(الناس)، على أفراد الجنس البشري بعامّة، بينما كانت دلالة التعريف في الكلمة الثانية (الناس)، دلالة خاصة بالقياس إلى الدلالة الأولى للكلمة ذاتها.

1. سورة الأنعام: الآية : 13.
2. سورة الأنبياء: الآية : 30 .
3. **البرهان** 88/4 .
4. ينظر، المصدر السابق، 95/4 وما بعدها.
5. سورة غافر: الآية : 61 .
6. سورة الزمر: الآية : 57 .

التعريف بالإشارة :

واسم الإشارة " كل اسم يدل على معيّن مصحوبًا لفظه باليد ونحوها، إن كان المشار إليه ذاتًا حاضرة، مثل : خذ هذا الكتاب، أو بإشارة معنوية إن كان المشار إليه معنى، أو ذاتًا غير حاضرة، مثل: سر هذه السيرة"[1].

وأسماء الإشارة : هذا هذان هؤلاء للمذكر القريب، و هذه هاتان هؤلاء للمؤنث القريب، وذلك للبعيد المذكر، وتلك للبعيد المؤنث، وغير ذلك من أسماء الإشارة الأخرى .

وقد يخرج التعريف بالإشارة عن دلالته الأصلية المتعلقة بالتعريف، ليؤدي معاني بلاغية أهمها تعظيم المشار إليه، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى:" فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ"[2]، حيث أفاد اسم الإشارة ــ الوارد في جملة الخاتمة ــ(ذلك) تعظيم المشار إليه، وهو تلك الظواهر الكونية المذكورة في صدر الآية فهي الآية الصادحة بقدرة الله تعالى، الناطقة بعظمته .

وشبيه بذلك قوله تعالى:" هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ"[3]، حيث أفاد اسم الإشارة (ذلك) تعظيم المشار إليه، والذي يعدّ بمثابة العظة والعبرة لمن يعي ويسمع .

وتجدر الإشارة إلى أن (التعريف بالإشارة) الذي ورد في جملة الخاتمة في الآيات الكونية والإنسانيةــ في الأعم الأغلب ــ خرج عن معناه الحقيقي ليفيد تعظيم المشار إليه، وربما يكون السبب في ذلك أن جملة الخاتمة المتضمنة لأسماء الإشارة، جاءت على هيئة واحدة مع اختلاف بسيط في فاصلة الآية،حيث كانت بصورة واحدة تقريبًا،" إن في ذلك......"، ويجب أن لا نغفل جانبًا أساسيًا يتعلق بالمضمون في صدر الآية، حيث كانت المضامين جميعها مشتملة على ظواهر كونية أو إنسانية تدل على قدرة الله تعالى، وبالتالي تعريفها في جملة الخاتمة كان يهدف إلى تعظيمها، كونها آيات دالّة على عظمة الله في خلق الكون والإنسان .

---

1. الأنطاكي، محمد: **المحيط في أصوات العربية ونحوها و صرفها**، ط1، 1972م، ص 204.
2. سورة الأنعام: الآية : 96 .
3. سورة يونس: الآية : 67 .

3. التعريف بالإضافة :

والتعريف بالإضافة يشمل إضافة النكرة إلى معرفة، سواء كانت هذه المعرفة اسـمًا معرفًـا (بأل)، أو ضميرًا متصلًا، و قد يخرج التعريف بالإضافة عن معناه الحقيقـي، ليـؤدي معـاني بلاغية أخرى .

والتعريف بالإضافة من الظواهر الأسلوبية التي تشف عن معان جميلة، فلـيس الغـرض منها التعريف فحسب، بل إنها قد تحمل في طياتها دلالات مـؤثرة، وأحيانًـا يكـون التعريـف بالإضافة طلبًا للإيجاز وذلك"لأنه ليس للمتكلم طريق إلى إحضاره ـــ أي المضاف ـــ في ذهـن السامع أخصر منه، أي يقصد إليه رغبة في الإيجاز"[1]، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى:" أَلَـمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ" [2]، ففي جملـة الخاتمـة وردت كلمة (أولي) مضافة إلى (الألباب)، والمقام هنا ليس مقام شرح وتفصيل لاسيما أن جملة الخاتمة جاءت قصيرة، ولا مجال فيها للاستفاضة في الحديث عـن الأشـخاص أو تعـدادهم أو ذكـر صفاتهم، فجاءت كلمة أولي مضافة إلى الألباب طلبًا للإيجاز، فهؤلاء باختصار أصحاب العقـول النيرة، دون تفصيل وشرح .

ونظير ذلك قوله تعالى:" يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَـارِ"(3)، فقـد وردت كلمة (أولي) مضافة إلى (الأبصار)، والغرض من هذه الإضافة تحقيق الإيجاز، بدلًا من طول الشرح والذكر والتعداد لأولئك الأشخاص الذين سيتعظون بظاهرة اختلاف الليل والنهار.

ومن المعاني البلاغية للتعريف بالإضافة تعظيم المضاف، ومثال ذلك قوله تعالى:" اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ [1]، حيث وردت كلمة(لقاء)

---

1. الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، 138.
2. سورة الزمر : الآية : 21.
3. سورة النور: الآية : 44.
4. سورة الرعد: الآية : 2 .

معرّفة بالإضافة، ويفيد هذا التعريف تعظيمها، وذلك بالقياس إلى المضاف إليه(ربكم)، فهذا اللقاء ليس لقاء عاديًا عابرًا، بل هو لقاء الله سبحانه وتعالى، حيث أضفى المضاف إليه على المضاف صفة التعظيم، مما رفع من شأنه، وجعل لمعناه عمقًا في الذات، حيث يستشعر القارئ عظمة هذا اللقاء، المستمدة من عظمة الخالق .

ومن الأمثلة الأخرى على خروج التعريف بالإضافة إلى تعظيم المضاف، قوله تعالى: "وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ"[1]، ففي جملة الخاتمة وردت كلمة (تقدير) مضافة إلى معرفة، إلا أن هذه الإضافة لم تقتصر على معنى التعريف، وإنما خرجت عنه، لتعظّم المضاف، وتكسبه شأنًا ومكانة، بحيث لا يغدو شيئًا عاديًا، فصدر الآية يشمل ظاهرة كونية تسير وفق ناموس متناهي الدقة، وبالتالي لا بدّ أن يكون هذا النظام الدقيق، وذاك التقدير أمرًا خارقًا ليس لأي كان أن ينسبه لنفسه، وبذلك أكسب المضافُ إليه (العزيز)، المضافَ صفةَ العظمة ، فهذا التقدير هو تقدير الله ــ جل شأنه وعلا ــ العزيز العليم .

وفي قوله تعالى:" وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا" [2]، حيث أفادت الإضافة في كلمة(ربك) معنى التعظيم، وهذا التعظيم مستوحى من الإضافة إلى الله عز وجلّ، فهذا الرب هو ربك أنت، وفي هذا اللفظ بالذات شعور بالأمان والاطمئنان، تسكن له النفس ويرتاح به القلب .

وقد يخرج التعريف بالإضافة عن معناه الأصلي، ليفيد تحقير المضاف، ويجّسد ذلك قوله تعالى:" وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ" [3]، فقد جاءت كلمة (أفغيرَ)،معرفة بالإضافة إلا أن هذا التعريف أفاد تحقيرها، فحين أضيفت كلمة غير إلى لفظ الجلالة، تبدت لنا صورة مشوّهة لأولئك الذين يُتّقون من غير الله، بل ظهر لنا بجلاء ووضوح عبثية هذا الأمر، إذ كان التعريف هنا تحقيرًا لهم وتقليلًا من شأنهم، و تصغيرًا من مكانتهم .

وقد يخرج التعريف بالإضافة عن معناه ليؤدي معاني أخرى غير تعظيم المضاف أوتحقيره، ومن هذه المعاني الترهيب، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:" الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا

---

1. سورة يس : الآية : 38 .
2. سورة الفرقان: الآية : 54.
3. سورة النحل: الآية : 52 .

وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ "[1]، ففي جملة الخاتمة وردت كلمة(عذاب) معرفة بالإضافة، إلا أن هذه الإضافةأكسبتها دلالة أخرى غير التعريف، وهو الترهيب فهذا العذاب ليس أيَّ عذاب، وإنما هو عذاب النار، فلو كان التركيب مثلًا (فقنا عذابك) لكان وقعها في النفس أقلّ بكثير من وقع التركيب الذي ورد في الآية، فكلمة النار أكسبت المضاف هالة من الرهبة، مما جعله أكثر تخويفًا وترهيبًا .

ومن هنا تبدّت لنا بوضوح المعاني البلاغية للتعريف بشتى أنواعه، وإن كان هناك أغراض بلاغية أخرى للتعريف لم ترد في آيات البحث .

- **التنكير:**

ربما يتوهم البعض في أن التعريف أجدى نفعًا من التنكير، وربما أسمى مكانة، لكننا يجب أن لا نغفل ما للتنكير من معان بلاغية عميقة، فدلالة التنكير لا تقتصر على خلو اللفظ من (أل) التعريف، أو من إحدى أساليبه، بل تتجاوز ذلك كله لتفيد معاني بلاغية ذات دلالات تضرب جذورها عميقًا في ذواتنا .

ومن أهم المعاني البلاغية التي يفيدها التنكير التقليل، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في قوله تعالى:" اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" [2]، ففي جملة الخاتمة، وردت كلمة (شيء) نكرة، إلا أن هذا التنكير كان لغرض بلاغي أفاد التقليل، حيث بلغ علم الله سبحانه و تعالى أدقّ الأشياء وأقلّها، فعلمه سبحانه لم يقتصر على الظاهر فقط، وإنما امتد واتسع ليشمل كل شيء في هذا الكون، مهما قلّ أو صغُر، وبالتالي جاءت النكرة متوافقة مع المعنى، متوائمة مع النص الذي وردت فيه ، "فكأنما السياق هو الذي يصف النكرة و يحدد معناها"[3].

وللتنكير أغراض بلاغية أخرى منها التحقير، ويتجلى ذلك في قوله تعالى :" أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا

---

1. سورة آل عمران: الآية : 191

2 سورة العنكبوت: الآية : 62.

3. بدوي ، أحمد: **من بلاغة القرآن**،ط3، مكتبة نهضة مصر ــ الفجالة، ص128.

شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ"[1]، ففي جملة الخاتمة وردت كلمتا (إله) و(قوم) نكرتين، وهذا التنكير أفاد تحقيرهما، والتقليل من شأنهما،وكأنهما شيء مبهم لا يستحق الحديث عنه، فهؤلاء قوم يساوون أحدًا مع الله و بالتالي كانوا نكرة ، وذلك الذي يساوونه بالله أيضًا نكرة، لا يستحق أن يعرّف تحقيرًا له واستصغارًا لأمره .

ومن الأمثلة على إفادة التنكير معنى التحقير، قوله تعالى:" الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ"[2]، فقد وردت كلمة(طين) نكرة، و في ذلك تحقير لهذه النكرة، فالطين شيء بسيط لا يكاد يذكر، إلا أن الله تعالى على الرغم من ضآلته خلق منه الإنسان، والطين أصلًا مادة بسيطة بطبعها، فكيف إذا وردت نكرة، فإن ذلك سيزيد من تحقيرها .

وقد يخرج التنكير عن معناه ليفيد تعظيم النكرة، ومن أبرز الأمثلة على ذلك قوله تعالى:" وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا و تَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آَيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ"[3]، حيث وردت كلمة(آيات) في جملة الخاتمة نكرة، إلا أن هذا التنكير لم يكن بغرض التقليل من أهميتها وإنما كان بغرض تعظيمها ورفع شأنها، فهي آيات عظيمة ودلائل جلية على قدرة الله عز وجلّ، و بالتالي تنكيرها جاء إظهارًا لمكانتها السامية، فهي عبرة لمن نظر و تفكر .

وشبيه بذلك قوله تعالى:" يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ"[4]، فقد وردت كلمة (عبرة) في جملة الخاتمة نكرة، إلا أن هذا التنكير أفاد تعظيمها أيضًا، حيث كانت عظة لمن اتعظّ، و تذكرة وعبرة لمن تبصّر وتأمل هذه الظاهرة الكونية اللافتة، فغدت ذات قيمة و مكانة رغم أنها نكرة .

ومن الأمثلة الأخرى على ذلك قوله تعالى:"وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا"[5]، فقد وردت كلمة(ماء) نكرة، إلا أن تنكيرها أكسبها مكانة، فقد أفاد تعظيمها والدليل

---

1. سورة النمل : الآية : 60.
2. سورة السجدة: الآية : 7.
3. سورة الجاثية: الآية : 5.
4. سورة النور: الآية : 44.
5. سورة المرسلات: الآية : 27.

على ذلك أنها جاءت موصوفة (فراتًا)، فهذا الماء عذب زلال يروي الظمأ .

ومن المعاني البلاغية للتنكير التهوين والتسهيل، ومن أمثلته قوله تعالى:" وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ" [1]، ففي جملة الخاتمة وردت كلمة (ذهاب) نكرة، وقد أفاد تنكيرها التهوين والتسهيل، ودلالة ذلك مجيء الخبر (لقادرون)، فهذا الأمر هيّن سهل بالنسبة إلى قدرة الله تعالى، إضافة إلى أن جملة الخاتمة جاءت مؤكدة بمؤكدين هما (إنّ)و(اللام)، وذلك تأكيدًا على قدرة الله اللامحدودة، فالماء تحت تصرفه سبحانه يسلكه في الأرض أو يفجر به ينابيع أو يذهب به كليًا فلا يبقي منه شيئًا .

وممّا سبق ندرك أن التنكير غير مقصور على تحقير النكرة وإبهامها والتقليل من شأنها، بل إنه يفيد في بعض الأحيان تعظيمها، وكل ذلك يحدده السياق الذي وردت فيه النكرة.

4. التوكيد:

سبق وأن أشرنا إلى أن المخاطب إذا كان خالي الذهن، متيقظًا يلقى إليه الخبر دون أدوات توكيد، أمّا إذا كان متردّدًا فإن الخبر يلقى إليه مؤكدًا بإحدى أدوات التوكيد، وفي حال إنكار المخاطب للخبر فإنه يلقى إليه مؤكدًا بأكثر من أداة توكيد .

وليس من عاقل يغفل ما للتوكيد من دور في تثبيت المعنى في الذهن، وترسيخه في النفس، إذ يسهم في جذب انتباه المتلقي، واستقطاب تفكيره، ممّا يحث العقل على استيعاب الخبر، و تحليله وفهمه بشكل سليم، فحين تقول: محمد كريم، قد لا يلتفت أحد لما قلته، أمّا حين تقول: إن محمدًا كريم فإن السامع بالضرورة ستلفته هذه العبارة، وحين تقول: إن محمدًا لكريم، فإنك بذلك تؤكد للسامع الخبر محاولًا تثبيته في ذهنه، و إماطة أي شك قد يلابسه .

وممّا يشار إليه أنّ هناك من كان يرى التوكيد شيئًا بلا فائدة، فالبلاغة الإيجاز، وخير الكلام ما قلّ ودلّ، والتوكيد ليس إلا نتيجة قصور النفس عن تأدية المعنى بغير تأكيد، وهناك من كان يرى التوكيد دلالة على الفصاحة والبراعة، حيث فائدته في قدرته على توكيد الخبر،

1 سورة المؤمنون: الآية : 18.

ولولا ذلك لما سمِّي توكيدًا. [1]

وقد يخرج التوكيد عن معناه الحقيقي، ليؤدي معاني بلاغية منها التذكير، ومن أبرز الأمثلة على ذلك قوله تعالى:" يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ"[2]، فقد جاءت جملة الخاتمة مؤكدة بمؤكدين، هما (إنّ)، واللام المزحلقة ــ التي هي لام الابتداء أصلًا ــ وقد أفاد هذا التوكيد تذكير المخاطب بالفعل الوارد في جملة الخاتمة، فلم يكن الغرض من هذا التوكيد توكيد المعنى في الذهن، بقدر ما كان هادفًا لجذب انتباه المخاطب و تذكيره بضرورة التفكر في هذه المظاهر الكونية، التي يغفل عنها الكثيرون، فهذه المشاهد الكونية ليست سوى آية ناطقة بعظمة الله تحتاج من الإنسان لحظة تأمل .

ونظير ذلك قوله تعالى: "وَمِنْ آَيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ" [3]، حيث كان التأكيد بمثابة تذكير بضرورة إعمال العقل وتشغيله، ممّا يقود المرء ببصيرة إلى الله تعالى، وذلك لأن هذه الظواهر الواردة في صدر الآية ظواهر لافتة تستحق منّا التفكر فيها .

وقد يفيد التوكيد معنى الاستدراك، فتكون الجملة استدراكًا لما قبلها، ويتبدى لنا ذلك بوضوح في قوله تعالى:" وَآَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ" [4]، فقد جاءت الجملة المؤكدة استدراكًا لما قبلها، فالله تعالى يذكر نعمه على الإنسان في الآيات السابقة لهذه الآية، و يكرر في صدر هذه الآية أن نعمه أعظم من أن يماري فيها بشر، لكن الإنسان رغم ذلك ظلوم كفّار جاحد لهذه النعم، فكأن الجملة " لكن الإنسان ظلوم كفّار" .

ومن الأمثلة الأخرى على دلالة التوكيد على الاستدراك قوله تعالى:" أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ

1.ينظر، **البرهان في علوم القرآن**، 384/2 .

2. سورة النحل: الآية : 11 .

3. سورة الروم: الآية : 24 .

4. سورة إبراهيم : الآية : 34 .

بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ"[1]، فقد جاءت الجملة المؤكدة (بإنّ) استدراكًا لما قبلها، حيث تبين الآية قدرة الله في خلق الإنسان وخلق الكون، و لكن التوكيد في جملــة الخاتمــة يــأتي اســتراكًا، وكــأن الجملة(لكن كثيرًا من الناس بلقاء ربهم لكافرون)، أي إن هذه الحقيقة واضحة لهم، لكنهم رغــم ذلك ينكرونها و يكفرون بالله .

ومن اللافت أن التأكيد في جملة الخاتمة ــ في الأعمّ الأغلب ــ خرج عن معناه ليفيد معنى التذكير، وربما يكون السبب في ذلك أن الجمل المؤكدة ب (إنّ) في خاتمة الآيات الكونية والإنسانية، جاءت على هيئة واحدة، بحيث كانت أنماطها واحدة تقريبًا، إضافة إلى أن السياق كان واحدًا، فقد وردت هذه الجمل المؤكدة مسبوقة في معظم الآيات بظواهر كونية وإنسانية، و بالتالي كان المعنى الذي أفاده التوكيد في جملة الخاتمة واحدًا ــ في الأعمّ الأغلب ــإذ كانت دلالته مقتصرة على التذكير بالفعل الوارد في جملة الخاتمة .

5. بناء الفعل للمجهول :

يعد بناء الفعل للمجهول أحد الظواهر الأسلوبية اللافتة، فأغراضه لا تقتصر علــى الجهــل بالفاعل فقط، أو عدم أهمية ذكره، بل تتجاوز ذلك كلّه لتفيد معاني بلاغية لها دلالاتها وأبعادها.

ومن أهم هذه المعاني البلاغية تعظيم الفاعل، ومن الأمثلة على ذلــك قولــه تعــالى:" أَفَلَــا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ** وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ** وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ** وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ " [2]، ففي الآيات السابقة جاءت جملــة الخاتمــة متضــمنة لفعــل مبنــي للمجهول، أفاد تعظيم الفاعل الذي هو الله ــ جل جلاله ــ وممّا يلفت أن هــذه الأفعــال تحمــل دلالات عميقة (خلق الإبل، رفع السماء، نصب الجبال، تسطيح الأرض)، إلا أن الفاعل بالرغم من ذلك لم يذكر وفي ذلك تمجيد له وتعظيم عن ذكره، لأن فعل الخلق لا ينبغي لأحد غيــر الله تعالى، إضافة إلى أن التركيز هنا كان على المفعول، حيث تأمل هذه المفاعيل يجعل المرء يصل إلى الله تعالى، لأن من تبصر كيفية إيجادها وخلقها، بالضرورة سيقوده تفكيره إلى الخالق الواحد وهو الله .

---

1. سورة الروم: الآية : 8.
2. سورة الغاشية : الآيات : 17 ــ20.

وقد يخرج بناء الفعل للمجهول عن معناه الأصلي ليفيد تصغير الفاعل وعدم الاكتراث لأمره، تقليلًا من شأنه، ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما جاء في قوله تعالى:

" فَأَنَّى تُصْرَفُونَ"[1]

"أَنَّى تُؤْفَكُونَ" [2]

والمقام هنا مقام توبيخ واستنكار، فالفعل الصادرعن الفاعل قبيح مستهجن لذلك لم يذكر الفاعل، تقليلًا من شأنه وتوبيخًا له واستصغارًا لأمره، وذلك أدعى للتقريع.

6. التقديم و التأخير :

لقد كان للتقديم والتأخير في خاتمة الآيات الكونية والإنسانية دلالات إيحائية عميقة، وعلى الرغم من كون هذه الظاهرة الأسلوبية تعتمد على مخالفة القواعد التي وضعها النحاة فيما يخص الجملة في العربية، فإنها تتجاوز هذه المخالفات لترسم لنا صورة معبرة، وتضفي على المعنى جمالًا ورونقًا .

وتجدر الإشارة إلى أن للتقديم و التأخير معاني متعددة، غير تلك المتعلقة بالاهتمام والعناية، ومن أهم المعاني البلاغية التي يفيدها التقديم و التأخير الاختصاص، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى:" إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ"[3]، و أصل هذه الجملة (ترجعون إليه)، لكن تقديم شبه الجملة(إليه) كان لغرض الاختصاص، فالرجوع لا يكون إلا إلى الله وحده دون سواه، فهو مختص بهذا الأمر وليس لأحد أن يشاركه فيه .

وشبيه بذلك قوله تعالى:" وَإِلَيْهِ النُّشُورُ"[4]، فقد تقدم شبه الجملة على المبتدأ المعرّف، على الرغم من أن الأصل أن يتقدم المبتدأ لأنه معرفة، فالجملة نحويًا الأصل أن تكون(النشور إليه)، إلا ان هذا التقديم أفاد قصر الفعل على الفاعل واختصاصه به، فالنشور لا يكون إلا لله تعالى.

وفي قوله تعالى:"إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ"[5]، أفاد تقديم الضمير (إياه) معنى القصر، فالعبادة لا

---

1. سورة الزمر: الآية : 6 .
2. سورة غافر : الآية : 62 .
3. سورة البقرة: الآية : 28.
4. سورة الملك : الآية : 15.
5. سورة فصلت: الآية : 37.

تكون إلا لله وحده، حيث كانت مقصورة عليه، لذلك تقدم الضمير المنفصل بالرغم من أن تركيب الجملة في الأصل (إن كنتم تعبدونه)، لكن جاء الضمير أولًا ليكون الفعل مقصورًا على الله وحده، إضافة إلى إفادة معنى التأكيد على أن الذي يعبد هو الله سبحانه وتعالى .

وقريب من ذلك قوله تعالى:"وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ"[1]، فتقديم جملة (إذا يشاء)،وتأخير الخبر (قدير)، كان لغرض بلاغي أفاد القصر، فالله قادر على جمع السماوات والأرض بما فيهما من مخلوقات وكائنات، لكن ذلك منوط بمشيئته سبحانه وتعالى، مرتبط بحكمته، ولذلك كان هذا الجمع قاصراُ على مشيئة الله وحده دون سواه، فالأمر غير مرتبط بمشيئة غيره.

أمّا في قوله تعالى:" إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ"[2]، فإننا نلحظ أن الفاصل الكلامي بين إن ــ التي في أول الآيةــ واسمها كبير، فقد جاء اسمها في جملة الخاتمة، بينما وردت إن وخبرها المقدم وجوبًا في بداية جملة الصدر، والغرض من هذا التأخير تشويق القارئ والسامع، فمن يقرأ بداية الآية يظلّ متشوقًا لمعرفة اسم إنّ، ويتساءل في ذاته ماذا يكون خلق السماوات و الأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر..............)، إلى أن يصل إلى خاتمة الآية فيدرك أنها آيات دالة على قدرة الله، ناطقة بعظمته سبحانه وتعالى .

وممّا سبق ندرك أن التقديم والتأخير يكسب المعنى أبعادًا عميقة، فله دلالات وإيحاءات، وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ تقدّم شبه الجملة الظرفية(من جار ومجرور) في خاتمة الآيات الكونية والإنسانية كان ــ في الأعمّ الأغلب ــ بغرض الاختصاص .

---

1. سورة الشورى: الآية : 29.

2. سورة البقرة: الآية : 164.

7. التكرار:

التكرار في اللّغة" أصله من الكرّ بمعنى الرجوع، ويأتي بمعنى الإعادة والعطف، فكرر الشي وكركره أي: أعاده مرة بعد أخرى".[1]،أمّا اصطلاحًا فهو:" دلالة اللفظ على المعنى مرددًا"[2] وقد قسّمه العلماء إلى نوعين: "أحدهما الذي نجده في اللفظ والمعنى، كقولك لمن تستدعيه: أسرع أسرع. والآخر الذي نجده في المعنى دون اللفظ، كقولك: أطعني ولا تعصني، فإن الأمر بالطاعة هو النهي عن المعصية" [3].

وممّا سبق ندرك أن التكرار إمّا أن يكون في اللفظ والمعنى، بحيث تتكرر الألفاظ دون اختلاف في المعاني، أو التكرار في المعنى دون اللفظ، بحيث تفترق الألفاظ وتتفق المعاني، و يعدّ التكرار ظاهرة بلاغية راقية، يقول الزركشي:" وقد غلط من أنكر كونه _ أي التكرار _ من أساليب الفصاحة، ظنًّا أنه لا فائدة له، وليس كذلك بل هو من محاسنها، لا سيّما إذا تعلّق بعضه ببعض.. وفائدته العظمى التقرير، وقد قيل: الكلام إذا تكرّر تقرّر"[4].

ومن اللافت أن خواتيم الآيات الكونية والإنسانية اشتملت على هذه الظاهرة اللغوية الجميلة، سواء على مستوى الألفاظ المفردة أو الجمل، وسواء أكان هذا التكرار في سورة واحدة أو في سور متفرقة، وقد خرج التكرار في معظم الآيات عن معناه الأصلي ليفيد معاني بلاغية عذبة، ففي قوله تعالى: وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ"[5]، تكررت الجملة " قد فصلنا الآيات لقوم....." وهذا التكرار لم يكن عبثًا، لأنه أفاد توكيد الفكرة، وهي أن هذه الآيات مفصلة للذين يفقهون ويعلمون، و أن الذي فصّل هذه الآيات هو الله تعالى، فحساب النجوم و معرفة الفلك امور فصّلها الله للعالم الذي يدرك هذه الأمور، في حين يكون الخلق و الإنشاء والإيجاد من نفس واحدة آيات مفصلات لمن فهم دقائق الأمور وعلمها علمًا تامًا.

---

1. الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: **القاموس المحيط،** 4مج،بيروت: دار الجيل، لاتاريخ، مادة (كرر).
2. ابن الأثير، ضياء الدين : **المثل السائر في أدب الكاتب والناثر** . ط1، تحقيق أحمد الحوفي و بدوي طبانة. القاهرة. مطبعة نهضة مصر. 1959م، 137/2
3. المصدر السابق، 137/2.
4. **البرهان في علوم القرآن**،12/3ـــ 13.
5. سورة الأنعام: الآية : : الآيات:97ـــ 98.

أمّا في قوله تعالى:" اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ" [1]، فقد تكررت كلمة (الناس) في خاتمة الآية، وقد أفاد هذا التكرار التخصيص، يقول الزمخشري:" كرر ذكر (الناس) نعيًا عليهم، وتخصيصًا لكفران النعمة بهم من بين سائر المخلوقات" [2].

وقد يفيد التكرار التذكير والتنبيه المتضمنين لمعنى الحض، ومثال ذلك قوله تعالى:" وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ *وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ" [3]، فقد تكررت الجملة(إن في ذلك لآيات لقوم ......)، وهذا التكرار أفاد التنبيه على مكانة هذه الآيات والتذكير بأهميتها، والحض على التفكر فيها والتعقل والتبصر في الغاية من وجودها، لأنها أولًا وأخيرًا تقود المرء إلى الله تعالى. يقول الزمخشري: "إن في التكرير تقريرًا للمعاني في الأنفس، وتثبيتًا لها في الصدور. ألا ترى أنه لا طريق إلى تحفّظ العلوم إلا ترديد ما يُرام تحفّظه منها. وكلّما زاد ترديده كان أمكن له في القلوب، وأرسخ له في الفهم، وأثبت للذكر، وأبعد من النسيان"[4].

أمّا في قوله تعالى:" أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ * أَمَّنْ جَعَلَ الأرضَ قَرَاراً وجَعَلَ خِلالَها أنهَاراً وجعَلَ لَها رَواسِيَ و جعَلَ بين البَحرَينِ حاجزاً أءِلَةٌ مع اللّه بل أكثَرُهم لا يَعلَمون* يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ *أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِن السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" [5]، فنلحظ تكرار الجملة(أءله مع الله)، وهذا التكرار أفاد الاستنكار المتضمن معنى التهكم والتعجب في آن، لأنه

---

1. سورة غافر: الآية :: 61.
2. سورة الرعد: الآية : 3ــ4.
3. الزمخشري: **الكشاف**، القاهرة، لاط لات، 3/ 225.
4. الكشاف،3/ 385.
5. سورة النمل: الآية: 60ــ64.

أمر مستهجن لا يمكن للعقل الواعي تصوره، فالقرائن الدالة على وحدانية الله أبلغ من أن يماري فيها بشر، وأظهر من أن يشكك فيها أحد، لذلك كان تكرار هذه الجملة استنكارًا وتعجبًا، إضـــافة إلى أن في هذا التكرار إيقاظ لمن غفل عن هذه الحقائق الكونية، ليعيد النظرويقلــب البصـــر، فيصل إلى حقيقة مؤداها: وحدانية هذا الخالق.

وقد يفيد التكرار معنى التعظيم كما في قوله تعالى:" أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْـفَ خُلِقَـتْ* وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ *وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ *وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُـطِحَتْ"[1]، حيــث تكرر اسم الاستفهام (كيف) تعظيمًا لهذه المظاهر، و تأكيدًا على أن مجرد التفكر في كيفية خلقها يحيلنا إلى صاحب القدرة التامّة الله سبحانه وتعالى، ففي خلق هذه المشـــاهدات إعجـــاز كبيـــر عظيم.

وفي ختام حديثنا عن المبنى البلاغي لجملة الخاتمة في الآيات الكونية والإنسانية نصل إلى نتيجة مؤداها:أن جملة الخاتمة في هذه الآيات تستحق الدراسة فهي تشتمل على ظواهر أســـلوبية متعددة، تحمل دلالات ومعاني لافتة وقيمًا تعبيرية راقية،ممّا يضفي على النص جمالًا.

---

1. سورة الغاشية: الآية: 17 ــ 20

الفصل الرابع

التركيب الصوتي للجمل

* المقاطع الصوتية في جملة الخاتمة ودلالتها.

* جرس الفاصلة.

* البعد الدلالي للأصوات.

إن سر الإعجاز في موسيقى القرآن الكريم هو أنها غير خاضعة لوزن و غيردارجة على قافية كما في سائر المطربات من المسموعات، كالشعر بأنواعه، والغناء بأشكاله، التي لها قانون داخلي، ونظم يضبط لحونها وأوزانها، كالبحور والمقامات والتفعيلات والأوزان، أمـــا القـــرآن الكريم، فإنك تنتقل خلال النص القرآني بين آية وافقت بحرًا من البحور، وأخرى وافقت مقامًـــا من المقامات، دون أن تشعر بهذا الانتقال .

والإيقاع الموسيقي من الأمور التي لم يولها القدماء اهتمامًا كبيرًا " فحديثهم عنها لم يتجاوز ذلك الإيقاع الظاهري، ولم يرتق إلى إدراك التعدد في الأساليب الموسيقية، وتناسق ذلك كله مع الجو الذي تطلق فيه هذه الموسيقى ". [1]

وللإيقاع القرآني جمال يستجيش المشاعر، فلا تخلو آية من آياته من هـــذا الســـحر، فكلمـــا قرأت آياته ازدادت عذوبة في فمك، و حلاوة في ذهنك، وليس الأمـــر قاصـــرًاعلى آيـــة دون أخرى، بل إنه يشمل أدق التفاصيل في الآية الواحدة .

وفيما يخص جملة الخاتمة في الآيات الكونية والإنسانية، فقد كان لها إيقاع لطيف عذب، يعود إلى قصرها، إذ كانت أطول جملة تقوم على ستة ألفاظ، كقوله تعالى : " إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ [2]، وقوله عز وجل " إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ "[3]، بينما كانت تقوم أقصر جملة على لفظين، كقوله تعالى: " لعلهم يهتدون[4] .

---

1. قطب، سيد: **التصوير الفني في القرآن** . ط3 ، دار الشروق :لمكتب الإسلامي 1410 هـ ص87 .
2. سورة الأنعام: الآية : 99.
3. سورة الرعد: الآية : 3 .
4. سورة الأنبياء: الآية : 31.

المقاطع الصوتية في جملة الخاتمة ودلالتها :

تتكون السلسلة الكلامية من تتابع مجموعات صوتية يمكن تمييز الواحدة من الأخـــرى، و كل مجموعة من هذه المجموعات يطلق عليها اسم (المقطع)، و المقطع لغة : من القَطـــع : و هو إبانة بعض أجزاء الشيء من بعض، يقال : قطعه يقطعه قَطعاً ، و قَطَعَه واقتطعه فـــانقطع، وتقطّع بتشديد الطاء للكثرة، فالمقطع (مَفعل) اسم مكان من قطع، و مقطع كل شيء و مُنقَطَعُه آخره حيث ينقطع، و مقطّعات الشيء : طرائقه التي يتحلل إليها و يتركب عنها .[1]

أما اصطلاحاً فالمقطع : "حركة قصيرة أو طويلة، مكتنفة بصوت أو أكثر من الأصـــوات الساكنة "[2]

و المقطع الصوتي يقسم إلى نوعين : [3]

1. المقطع المتحرك : و هو الذي ينتهي بصوت ليّن قصير، أو طويل: لِ ، لي.
2. المقطع الساكن : هو الذي ينتهي بصوت ساكن : مِن، عَن.

و يمكن تقسيم المقطع استناداً إلى زمن النطق به إلى : [4]

1. مقطع قصير : و هو عبارة عن (صوت ساكن + حركة قصيرة) كَ كُ كِ.
2. مقطع متوسط : و هو عبارة عن صوت ساكن + حركة قصيرة + صوت ساكن) كَم كُم كِم، أو عبارة عن (صوت ساكن + حركة طويلة) كا كو كي .
3. مقطع طويل : و هو عبارة عن (صوت ساكن + حركة طويلة + صوت ســاكن)، نـــار، طول، نير .

---

1. **لسان العرب**، مادة (قطع) .
2. أنيس، إبراهيم : **موسيقى الشعر** . ط 4 ، بيروت : دار القلم 1972 م .ص147.
3. أنيس، إبراهيم : : **الأصوات اللغوية** . ط5 . دار الطباعة الحديثة 1979 م . 159 ــ 160.
4. أنيس، **موسيقى الشعر**، 147.

وإذا قطعنا جملة الخاتمة في الآية الكريمة " أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ"[1]، وجدناها مشتملة على المقاطع الآتية: ف / ب / أي / ي / ح / دي / ثن / بع / د / ه / يؤ / م / نون) وإذا أمعنا النظر فيها، سنجد المقاطع المتحركة (ف، ب، ي، ح، دي، د، ه، م) ثمانية، أي ضعف المقاطع الساكنة، ولهذا صلة وثيقة بالمعنى الذي دلّت عليه جملة الخاتمة، حيث " يمكن تسمية المقطع المتحرك بالمفتوح، والمقطع الساكن بالمغلق " [2]، إذا؛ فكثرة المقاطع المفتوحة (المتحركة) تتناسب ومعنى السؤال المفتوح، فالآية تتحدث عن مظاهر كونية بارزة ومشاهدة، لا يمكن التغاضي عنها، إلا أنها تختتم بسؤال لا يحتاج إلى إجابة، لأن إجابته مفتوحة، لا يمكن تحديدها بكلمتين أو ثلاث ولا حتى بجملة، والمقاطع المتحركة تتناسب أيضًا وجو النص الذي هو جو حركة، لأن الإعراض والتغافل عن الآيات المشاهدة، يعني إشاحة الوجه عنها، وهذا يعني استمرار حركته يمينًا و شمالًا، وفي كل الاتجاهات وهذا يرافقه كثرة التلفت، وبالتالي كانت المقاطع المتحركة أكثر ملاءمة للمعنى .

ومثال آخر قد يكون أوضح، و هو قوله تعالى : " يقلب الله الليل و النهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار " [3]، فعند تقطيع جملة الخاتمة تتشكل لدينا المقاطع الآتية :(إن / ن / في / ذا / ل / ك / ل / عب / ر / تن / ل / أو / لل / أب / صار)، و أهم ما نلحظه هنا أن المقاطع المتحركة ثمانية(ن، في، ذا، ل، ك، ل، ر، ل)، بينما الساكنة سبعة (إن، عب، تن، أو، لل، أل،باب)، و هذا يعني أنهما تقريبًا متساويان، ولهذا علاقة وطيدة بالمعنى الذي تحمله جملة الخاتمة، لأن تقليب البصر وإرجاعه ومعاودة النظر، كلها أمور تتطلب حركة مستمرة، وتيقظًا دائمًا، لأن من يتبصر ينظر هنا وهناك، و يلتفت هنا و هناك، و كل ذلك يحتاج إلى حراك دؤوب، و هذا يفسر وجود المقاطع المتحركة، لكن في الوقت ذاته و بعد أن يتركز البصر على شيء معين، وظاهرة معينة، تبدأ مرحلة من السكون، والتأمل العميق الذي يحتاج إلى هدوء وسكينة، وهذا يفسر وجود المقاطع الساكنة .

---

1 سورة الأعراف: الآية : 185.

2. ينظر الحاشية، أنيس : **الأصوات اللغوية**، 160ص .

3. سورة النور: الآية : 44 .

و في قوله تعالى : "وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ "[1] نجد جملة الخاتمة مشتملة على المقاطع (إن / ن / في / ذا / ل/ كم / ل / آ / يا / تن / ل / قو / مي/ يؤ / م / نون)، ومعظم هذه المقاطع متحركة (مفتوحة) (ن، في، ذا، ل، ل، آ، يا، ل، م)، وهذا يتناسب مع المعنى الذي تنطوي عليه هذه الجملة، حيث يتطلب السياق هنا حركة، فجذوة الإيمان يجب أن تظل وقادة في القلب، لا تسكن ولا تهدأ، أما المقطع الأخير (نون) فهو مقطع طويل مغلق (ص ح ح ص)، ولهذا أيضًا دلالة، فالقلب إذا استقر فيه الإيمان لا بد أن ينغلق عليه، فلا يخرج منه أبدًا، فيظل الفؤاد عامرًا بنوره، مسكونًا به، و ربما يكون هذا هو السبب في كون المقطع الأخير مغلقًا .

ومقاطع جملة الخاتمة في قوله تعالى : " وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ " [2] هي: (إن / ن / في / ذا / ل / ك / ل / آ / يا / تن / لل/ عا / ل / مين)، وأهم ما يستوقفنا فيها تلك الحروف المدية (الحركات الطويلة)، التي كثرت بشكل لافت (في، ذا، آ، يا، عا، مي)، وهي حروف توحي بالامتداد، ذلك أنه في حال النطق بها يمتد الهواء خلال مجراه، ويستمر بالامتداد، دون أن يعترضه أي عائق [3]، وهي بذلك تتناسب مع معنى الآية، إذ تبين لنا مدى اتساع رقعة آيات الله، وامتدادها وتراميها مد البصر، وهي بذلك منثورة في كل مكان، يدركها من يتأمل ويعلم .

ومما يلفت في هذه المقاطع أيضًا كثرة الحركات، والحركات "أوضح في السمع وأقوى إذا قيست بالأصوات الصامتة "[4]، وليس مرد هذا الوضوح طريقة النطق بها فحسب، بل يعود ذلك أيضًا إلى كونها جميعًا مجهورة [5]، وهي بذلك تتلاءم مع وضوح آيات الله، فهي آيات صادحة بعظمة الله جاهرة بقدرته، واضحة للرائي وضوح الحركات للسامع .

---

1. سورة الأنعام: الآية : 99.
2. سورة الروم: الآية : 22 .
3. ينظر،بشر، **علم اللغة العام (الأصوات)** ص101 .
4. المصدر السابق، ص 178.
5. ينظر، المصر السابق، ص 93 .

وتتجلى العلاقة الوثيقة بين المقاطع والمعنى في جملة الخاتمة من خلال قوله تعالى : " أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ" (1)، فجملة الخاتمة تحتوي على المقاطع (أ / إ / لا / هم / م / عل / لا/ ه/ بل / أك / ث / ر/ هم / لا / يع / ل / مون)، فإذا أخذنا الجزء الأول من الجملة، أي المقاطع (أ / إ / لا / هم / م / عل / لا/ ه)، فإننا نلحظ أن المقاطع المفتوحة (المتحركة) (أ، إ، لا، م، لا، ه) ضعف الساكنة وأزيد، و ذلك يتلاءم مع طبيعة المعنى الذي دل عليه السؤال، فهو سؤال له صدى في الذات، وله امتداد في النفس، وهو أعظم من أن يحصر في مقاطع مغلقة، إذ تضيق بعظمته هذه المقاطع، ومن هنا كان لا بد من تفوق المقاطع المفتوحة، لتتناسب مع المعنى المراد.

بينما تفوقت المقاطع المغلقة في الجزء الثاني من الجملة (بل / أك / هم / يع / مون) لأن هؤلاء قوم طُمست مداركهم، وسدت أبواب عقولهم، وانغلقت آفاقهم، فهم لا يعلمون شيئًا، والعلم نقيضه الجهل، والجهل يطمس العقل ويغلفه، ولا يجعله منفتحًا على ما حوله، إضافة إلى أن الجهل يبلد التفكير، ومن هنا كانت المقاطع الساكنة ــ التي هي نفسها المغلقة ــ أكثر من المتحركة .

وإذا أخذنا جملة الخاتمة في قوله تعالى : "وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ" (2)، فسنجدها تحتوي على المقاطع : (قد /فص /صل/ نل/ آ/ يا/ ت/ ل/ قو/ مي/ يع/ ل/ مون)، وإذا أمعنا النظر في المقطع الأخير(مون)، وجدناه مقطعًا طويلًا مغلقًا، اكتسب طوله من توسط حرف اللين (الواو) بين حرفين أنفيين، وكما هو معلوم أن المقطع الذي يتكون من صامتين يحصران بينهما حركة طويلة، يعد مقطعًا طويلًا، وذلك استنادًا إلى ما جاء في أنواع المقاطع الواردة أعلاه، إلا أن اللافت هنا أن هذا المقطع الطويل المغلق، يمتاز عن أمثاله في أنه أطول منها، والسبب في ذلك توالي ثلاثة أحرف تمتاز بالطول الطبيعي، ف (مون) في تعلمون، أطول من (باب) في ألباب، يقول إبراهيم أنيس: "يلي أصوات اللين في الطول الطبيعي، الأصوات الانفية :

---

1. سورة النمل: الآية : 61.

2,. سورة الأنعام: الآية : 97.

وهي النون و الميم" [1].

وطول هذا المقطع يضفي على جو الآية إيقاعًا عذبًا، ويكسبه جمالًا يمتد في العمق امتداد هذا المقطع، فامتداد الصوت أثناء النطق به يشنف الآذان، ويَطرب له القارئ والسامع، وعلاقة ذلك بمضمون الآية فيما نرى واضحة، لأن العلم بحر ممتد لا شاطئ له ولا ساحل، تتسع آفاقه وتترامى فلواته، و لذلك جاء المقطع طويلًا يمتد معه النَّفَس، امتداد نَفَس طالب العلم، أما كون المقطع مغلقًا، فهو بذلك يتلاءم مع علم الإنسان المحدود، الذي يظل محصورًا بما يتناسب مع حجم العقل البشري مهما اتسع مداه ، وإذا عدنا إلى معنى الآية وجدنا الإنسان أفاد من النجوم في معرفة الاتجاهات، لكن هناك أشياء كثيرة ــ تخص النجوم ــ يجهلها الإنسان، فعلمه مقصور على ما قدّره الله له، ولذلك، و بالرغم أن المقطع جاء طويلًا إلا أنه انتهى مغلقًا .

وخلاصة القول إن المقاطع الصوتية في الأعم الأغلب، تحمل دلالات ضمنية، تتناسب بشكل أو بآخر مع معنى الجملة، و هذا ما لاحظناه في الأمثلة التي عرضناها، ومن هنا ندرك جمال اللغة العربية، بأصواتها ومقاطعها، ونوقن أن لها سحرًا خاصًا، وألقًا باهرًا، يميزها عن بقية اللغات، كيف لا وهي لغة الوحي والتنزيل .

1. أنيس : **الأصوات اللغوية**، ص154.

السجع:

وهو عند ابن الأثير : تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد، وعند الباقلاّني : موالاة الكلام على وزن واحد، وقال ابن دريد : سجعت الحمامة، معناه: ردت صوتها.[1]

وقد افترقت آراء العلماء قديمهم وحديثهم حول وجود السجع في القرآن الكريم، حيث نفى معظمهم وجود هذه الظاهرة اللغوية في كتاب الله، متذرعين بكونها تكلفًا لا يليق بكلام الله، لأن الساجع يتكلف في اختياره لألفاظه لتتفق في أواخرها مما يؤدي إلى البعد عن المعنى المراد، يقول الخطابي:" الساجع عادته أن يجعل المعاني تابعة لسجعه، ولا يبالي بما يتكلّم به إذا استوت أساجيعه واطّردت" [2]، ويوافقه فيما ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني حيث يقول:" رأيت العلماء يذمون من يحمله طلب السجع والتجنيس على أن يضم لهما المعنى، ويُدخل الخلل عليه من أجلهما، وعلى أن يتعسّف في الاستعارة بسببهما، ويركب الوعورة، ويسلك المسلك المجهول" [3]

وربما كان هذا هو الدافع وراء استبدال مصطلح الفاصلة بالسجع، وذلك فيما يخص النص القرآني، فالدارج عند العلماء إطلاق لفظ الفاصلة على آخر كلمة في الآية، وذلك بغية المحافظة على مكانة القرآن، بترفعه عن الكلام المسجوع الشبيه بسجع الكهان، وربما يكون مصطلح الفاصلة في نظرهم أنسب وأرقى وذلك:"لكون الفواصل تعكس أدبية طلقة، لا ضرورة معها للحديث عن ضرورة فنّية، بخلاف القوافي في السجع أو في الشعر، فإنها لا تعدم مواقف الاضطرار بحكم انتظامها في أدبية، من معاييرها الاطراد والتواتر والرّتابة الشكليّة" [4]

وهناك فرق كبير بين أن يكون السجع بحد ذاته هدفًا، وبين كونه جزءًا من التعبير الفني الذي يخدم الفكرة والمعنى، فالسجع إن كان مؤديًا للمعنى محافظًا على الرتابة الشكلية لا عيب فيه ولا شبهة، أمّا إذا كان لغرض الاستعراض اللفظي فقط دون المعنوي، ففي ذلك منقصة،

---

1. ينظر ذلك كله في: **المثل السائر** 114/2، و الباقلاني، أبو بكر محمد: **إعجاز القرآن**، ط2، مصر: دار المعارف، لا ت،ص.86

2. الخطابي . **بيان إعجاز القرآن** .ص 75 . شرح: عبد الله الصديق، ط ،1.دار التأليف بمصر. 1953

3. دلائل الإعجاز ،ص401.

4. سليمان عشراتي . **الخطاب القرآني" مقاربة توصيفية لجماليات السرد الإعجازي** ". 38. د . م . ج . – الجزائر .

لأن الكاتب إنما تبع اللفظ وأغفل المعنى، وبالتالي كان نصه عبارة عن زركشة شكلية جوفاء، لا فائدة ترجى منها.

وفيما نرى لا ضير من اعتبار القرآن مشتملًا على سجع لأنه جزء مـن الإيقـاع، والقـرآن الكريم فيه إيقاع عذب، إلا أن هذا الإيقاع يكون متوائمًا منسجمًا مع المعنـى، وبالتـالي يكـون السجع فيه نوعًا من المحسنات اللغوية الجميلة، ففي قوله تعـالى:" ثُـمَّ قَبَضْـنَاهُ إِلَيْنَـا قَبْضًـا يَسِيرًا*وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا*وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا*لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّـا خَلَقْنَـا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا" [1]، يشدّنا هذا الإيقاع الجميل الرقيق في خواتيم هذه الآيات، وفي الوقت ذاته نستشعر ذلك الترابط القوي بين المعنى في الخواتيم، والمعنى في الآيات، حيـث نجـد الكلمـة الأخيرة جاءت مستقرة في مكانها، ثابتة في موضعها، ليس لأي لفظ آخر أن يحل محلّهـا، فقـد أدت المعنى المطلوب على أكمل وجه.

وفي قوله تعالى :" اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِـهِ مِـنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَـارَ*وَسَـخَّرَ لَكُـمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ*وَآَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّـهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ"[2]، تطرب الأسماع لهذه الخواتيم، وفي الوقت ذاته تستطيبها الأذهان والعقول، فالمعاني فيها تخدم السياق، وتؤدي دورها كاملًا دون أن يشعر القارئ بـنقص في المعنى على حساب اللفظ.

وخلاصة القول أن القرآن الكريم اشتمل على آيات متوافقة مع بحـور الخليـل، وأخـرى وافقت قصصًا طويلة و قصيرة، وآيات وافقت مقامات مختلفة، وأخرى وافقت السجع العربـي، إلا أنه لا يجوز أن نسمي القرآن شعرًا أو نثرًا أو قصة أو سجعًا، بل هو وحي محكـم معجـز اسمه القرآن، وإنما جاءت الاصناف السابقة لتحدي البشر فيما يحسنون مـن صـنوف التعبيـر وتبيان عجزهم أمام إعجازه.

---

1. سورة الفرقان: الآية : 64 ــ49
2. سورة إبراهيم: الآية : 32ــ34

ـ جرس الفاصلة :

لقد سبق أن أشرنا إلى أن بعض القراء حين يقرأ عنوان البحث، ينصرف ذهنه إلى موضوع الفاصلة القرآنية، وقد ذكرنا غير مرة أن موضوع الفاصلة يختلف عن موضوع البحث، ولكن طالما أننا عرضنا للجانب الصوتي لجمل الخاتمة، فلا ضير من التطرق إلى موضوع الفاصلة القرآنية، بمقدار ما يخدم البحث، دون توسع واستفاضة .

وكلنا يعلم ما للفاصلة من دور في تأكيد المعنى وترسيخه في الذهن، حيث ينقطع فكر المتلقي ويسكن مع الفاصلة، استقبالًا لما بعدها، والفاصلة تحمل جمالًا يلازم أثره نفس القارئ، إضافة إلى قدرتها على إبراز جمال الإيقاع، فالفاصلة كما عرّفها صاحب الإتقان : " كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع " [1] .

ولا تقتصر أهمية الفاصلة على ما سبق، و إنما تتعداه كما يرى الزركشي؛ لأنها : " تبرز ابتداء الكلام وانتهاءه، فيستريح نَفَس القارئ بها، و يطرب لتشاكلها، و أما علاقتها بالمعنى فهي تحقق معنى الآية كلها، و يتركز مضمونها في هذه الكلمة الأخيرة ، وتأتي في مكانها المرسوم لها، فيحس القارئ بتمام المعنى، لذا فإنه لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجردها، إلا مع بقاء المعاني على سدادها على النهج الذي يقتضيه حسن النظم والتئامه" [2] إذا؛ فالفاصلة تختصر معنى الآية فيما تحمله من دلالة خاصة، وهي بذلك تحقق إيقاع المناسبة الذي يكثر في مقاطع الكلام و أواخره، ومن أهم شروط الفاصلة أن تكون مناسبة للمعنى المذكور كي لا تنفصم عرى الكلام فيخرج بعضه عن بعض. [3]

وتجدر الإشارة إلى أننا في الفصل الثاني من البحث [4]، تناولنا علاقة مضمون جملة الخاتمة في الآية ، بمضمون الصدر في الآية ذاتها، وهو ما يعرف بعلم المناسبات، وهذا موضوع قريب من مناسبة الفاصلة للمعنى في الآية، وإن كان يختلف عنه في أن الفاصلة كلمة واحدة لا جملة، لذلك لا حاجة بنا في هذا الفصل للتطرق إلى علاقة الفاصلة بالمعنى .

---

1. السيوطي، 209/2 .
2. **البرهان في علوم القرآن**، 101/1 .
3. ينظر، المصدر السابق، 1/ 107 .
4. **الدراسة الدلالية لجمل الخواتيم** ص49ـ ص74.

أشكال الفاصلة في القرآن الكريم :

لا تأتي الفاصلة في القرآن الكريم على هيئة واحدة، وإنما تتعد أشكالها وأنماطهـا، وذلـك حسب علاقتها بالفاصلة التي بعدها، وتبعًا لذلك فإنها تقسم إلى ثلاثة أنواع :

1. المتوازي : ويعرف بأنه "رعاية الكلمتين الأخيرتين في الوزن والروي "[1]، ولا شك فـي أن للكلام الموزون تأثيرًا على النفس عجيبًا، إذ يستهوي القلوب، و تطرب له الأسماع، وذلك لمـا يضفيه الاتفاق في الوزن والروي من جمال وعذوبةعلى الإيقاع.

ومن أمثلته في جملة الخاتمة في الآيات الكونية والإنسـانية، تتـابع الفواصـل (يعلمـون، يفقهون)،في قوله تعالى: { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْـرِ قَـدْ فَصَّلْنَا الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ** وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَـدْ فَصَّـلْنَا الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ }[2]، وإذا قطعنا الفواصل سنجدها متفقة في المقاطع (الوزن)، متحـدة فـي الروي الذي هو النون :

يعلمون = يع / ل / مون = ص ح ص / ص ح / ص ح ح ص.

يفقهون = يف / ق / هون = ص ح ص / ص ح / ص ح ح ص.

ويظهر لنا جمال هذا النوع من خلال قوله تعالى : { وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًـا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ** وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ **وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ } [3]

---

1. الجوزية، ابن قيم : **الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان** . بيروت : دار الكتب العلمية د.ت . ص.226
2. سورة الأنعام: الآية : ، 97 ــ 99.
3. سورة النحل: الآية : 14 ــ 16 .

وإذا قطعنا الفواصل في هذه الآيات وجدناها تتفق في الروي وتتحد في الوزن :

تشكرون = تش / ك / رون = ص ح ص / ص ح / ص ح ح ص.

تهتدون = ته / ت / دون = ص ح ص/ ص ح / ص ح ح ص.

يهتدون = يه / ت / دون = ص ح ص / ص ح / ص ح ح ص.

ومثال أخير نختم به حديثنا عن هذا الشكل من أشكال الفاصلة، وهو قوله تعالى { أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ* قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [1] .

والمقاطع لتي تتألف منها الفواصل في هذه الآيات :

يسير = ي / سير = ص ح / ص ح ح ص.

قدير = ق / دير = ص ح / ص ح ح ص.

وكل ذلك يضفي على الآيات إيقاعًا لطيفًا مميزًا، يؤثر في المتلقي أيما تأثير،" فعلى مستوى الإيقاع لا شك أنه يمثل رنة تحدث قوة إسماع حاملة ترددًا زمنيًا طويلًا"[2]، إضافة إلى أن هـذا التتابع بين الفواصل المتفقة وزنًا و قافية يكسب النص موسيقى عذبة، تستريح لهـا النفـوس، وتطمئن بها القلوب، وتتوق لجمالها الأسماع .

2 .المطرّف : وهو الشكل الثاني من أشكال الفاصلة، وهو أن " تتفق الكلمتان الأخيرتان في الحرف الأخير دون الوزن " [2]، و بالتالي فإن اتفاق الكلمتين في الوزن لا يعد هنا شرطًا أساسيًّا، لأن الاتحاد في القافية كاف لتحقيق هذا النوع .

وقد كثرت فواصل الآيات الكونية والإنسانية المدرجة تحت هذا النوع، ومن أبرز الأمثلـة عليه قوله تعالى: { يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْـدَ مَوْتِهَـا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ** وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ** وَمِنْ آَيَاتِـهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْـنَكُمْ مَـوَدَّةً وَرَحْمَـةً إِنَّ فِـي ذَلِـكَ لَآَيَـاتٍ

---

1. سورة: العنكبوت : الآية ، 19 ــ 20.
2. كشك، أحمد : **من وظائف الصوت اللغوي محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي**، ط1، دار السلام مطبعة المدينة، 1983 م، ص.13.
3. ابن القيم الجوزية، **الفوائد المشوق**، ص227.

لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ **وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ} [1]

ونلحظ اتفاق هذه الفواصل في الروي، إلا أنها لا تتفق وزنًا، فلكل واحدة مقاطع تختلف عن الأخرى :

تخرجون = تخ / ر/ جون = ص ح ص / ص ح / ص ح ح ص.

تنتشرون = تن/ ت / ش / رون = ص ح ص / ص ح / ص ح / ص ح ح ص.

تتفكرون = ت / ت / فك / ك / رون = ص ح / ص ح / ص ح ص / ص ح / ص ح ح ص.

للعالمين = لل/ عا / ل / مين = ص ح ص / ص ح ح / ص ح / ص ح ح ص.

وبالرغم من اختلاف الوزن بين هذه الفواصل، إلا أن اتفاقها في الروي يجعل النص متماسكًا، فالقارئ حين يلحظ هذا الاتفاق تترسخ في ذهنه صورة متكاملة الأجزاء، ولوحة منتظمة، فالنون الرنينية يظل صداها مترددًا في العمق، مما يوحي بتناظم النص واتساقه، إضافة إلى ذلك الإيقاع الجميل الذي تحققه تلك الغنة المصاحبة لصوت النون .

ومن الأمثلة الأخرى على هذا النوع قوله تعالى : { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ** يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ** وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ** وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ** وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }[2]، حيث تتفق الفواصل (تسيمون، يتفكرون، يعقلون، يذّكّرون، تشكرون) في رويها، لكنها تختلف في وزنها وعدد المقاطع المكونة لها، وكما سبق وأشرنا إلى أن الاتفاق في الروي يجعل القارئ يعيش في جو واحد، لا يخرج منه، و لذلك تتعمق الدلالات في ذاته، إضافة إلى أنه يستشعر ذلك الترابط العجيب بين الآيات، فترتاح نفسه وتسكن جوارحه، و يتعمق إحساسه بذلك المشهد البديع الذي تعرضه الآيات .

1. الروم سورة : الآية : ، 19 ــ 22 .

2. سورة النحل: الآية : ، 10 ــ 14.

وعند تقطيع الفواصل نجدها مشتملة على المقاطع الآتية :

تسيمون = ت/ سي / مون = ص ح / ص ح ح / ص ح ح ص.

يتفكـــرون = ي/ ت / فـــك / ك / رون = ص ح / ص ح / ص ح ص / ص ح / ص ح ح ص.

يعقلون = يع / ق / لون = ص ح ص / ص ح / ص ح ح ص.

يذّكّرون = يذ / ذك / ك / رون = ص ح ص / ص ح ص / ص ح / ص ح ح ص.

تشكرون =تش / ك / رون= ص ح ص / ص ح / ص ح ح ص.

3. المتوازن : وهو الشكل الأخير من أشكال الفاصلة، وهو " أن تأتي ألفاظ الفواصل من الكلام المنثور متساوية في الوزن، و للكلام بذلك طلاوة ورونق، وسببه الاعتدال لأنه مطلـــوب فـــي جميع الأشياء، وإذا كانت مواقع الكلام معتدلة، وقعت من النفس موقع الاستحسان."[1]

ومن أمثلته اللافتة في الآيات الكونية والإنسانية، قوله تعالى : {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ** ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِـــي الْمَـــوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [2]

و مقاطع الفاصلتين :

بهيج = ب / هيج = ص ح / ص ح ح ص.

قدير = ق / دير = ص ح / ص ح ح ص.

وهنا يستوقفنا اتحاد كلمتي الفاصلة في الوزن، رغم افتراقهما في الروي، وليس هناك أدنى شك في أن لهذا الاتفاق دلالات، فمن يقرأ الآية الأولى التي تتحدث عن البعث، وكيفية الخلق، ومراحل تكوّن الإنسان في رحم الأم، وإحياء الأرض بعد موتها، ثم ينتقل للآية الثانية التي تختصر الأولى ببضع كلمات مفادها أن الله قادر على إحياء الموتى قدرته على

---

1. ابن الأثير، ضياء الدين : **المثل السائر في أدب الكاتب والناثر**1/ 377، 378 .

القيام بكل ما ذكر في الآية الأولى ـــ تترسخ في ذهنه هذه الحقيقة، ويربط بين معنى الآيتين اللتين ختمتا بوزن واحد، ما انفك يُشعره بالتحام النصين، وتواؤمهما معًا، و من هنا يأتي التأثير العجيب لآيات القرآن الكريم، التي تحمل إعجازًا لافتًا .

ومثال آخر، قد يكون أوضح، يجسده قوله تعالى :{لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ** هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآَخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ** هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}[1]

وهنا تتتابع ثلاث فواصل متفقة في الوزن، مفترقة في الروي :

قدير = ق / دير = ص ح / ص ح ح ص.

عليم = ع / ليم = ص ح / ص ح ح ص.

بصير = ب/ صير = ص ح / ص ح ح ص.

ولهذا جمال كامن في توازن المقاطع المتقابلة، مما يكسب السياق إيقاعًا يترنم به القارئ، إذ يجد نفسه في سياق واحد تعددت أوجهه، وكلما شط تفكيره جذبه اتحاد الوزن، فعاد وتأمل ما يقرأ، وكلما انصرف ذهنه عن مضمون الآيات، لفتته موسيقى المقاطع المتوازنة .

ولما كان كل ما يهمنا هنا هو الفاصلة في آيات البحث، و ليس الفاصلة في القرآن الكريم، فإننا سنقتصر على دراسة آخر كلمة في جملة الخاتمة في الآيات الكونية والإنسانية (الفاصلة)، دون أن نسترسل في الحديث عنها .

وتجدر الإشارة إلى أن الفاصلة في الآيات الكونية والإنسانية، تستحق الدراسة لأنها تحمل في ذاتها دلالات لافتة، إضافة إلى كون المقاطع المشكّلة لها ترتبط ارتباطًا وثيقًا بمعنى الآية، كما سنرى في الصفحات اللاحقة، حيث لكل حرف غاية، ولكل صوت أهمية، وكل ذلك يضفي جمالًا على الآية مما يكسبها إيقاعًا عذبًا .

---

1. سورة الحديد : الآية : 2 ـــ 4 .

وقبل أن نورد المقاطع التي تتألف منها كلمات الفاصلة في الآيات الكونية والإنسانية، لا بد من إيراد أنواع المقاطع في اللغة العربية، وهي : [1]

ــ صوت ساكن + صوت لين قصير، (ص ح).

ــ صوت ساكن + صوت لين طويل،(ص ح ح).

ــ صوت ساكن + صوت لين قصير + صوت ساكن، (ص ح ص).

_ صوت ساكن + صوت لين طويل + صوت ساكن، (ص ح ح ص).

_ صوت ساكن + صوت لين قصير + صوت ساكن + صوت ساكن، (ص ح ص ص).

أما المقاطع التي اشتملت عليها الفاصلة في الآيات الكونية والإنسانية فكانت :

1. مقطع قصير (ص ح) + مقطع طويل مغلق (ص ح ح ص)، مثل : قدير، حكيم، عليم، خبير، رحيم .

2. مقطع متوسط مغلق (ص ح ص) + مقطع قصير (ص ح) + مقطع طويل مغلق (ص ح ح ص)، مثل: تؤمنون، تتقون، توقنون، تعقلون، تعلمون .

3. مقطع قصير (ص ح) + مقطع متوسط مغلق (ص ح ص) + مقطع قصير (ص ح) + مقطع طويل مغلق (ص ح ح ص)، مثل: تذكّرون .

4. مقطع قصير (ص ح) + مقطع قصير (ص ح) + مقطع متوسط مغلق (ص ح ص) + مقطع قصير (ص ح) + مقطع طويل مغلق (ص ح ح ص)، مثل: تتفكرون، يتفكرون

وأهم ما نلحظه أن الفواصل كلها جاءت مشتملة على عدد من المقاطع لا يتجاوز الأربعة، باستثناء النوع الأخير، إضافة إلى أن كل المقاطع كانت من النوع القصير أو المتوسط، باستثناء المقطع الأخير من كل كلمة فقد جاء طويلًا مغلقًا، وذانك النوعان: المتوسط والقصير يكوّنان " الكثرة الغالبة من الكلام العربي"[2] وفقًا لما ذهب إليه إبراهيم أنيس .

1.أنيس، **الأصوات اللغوية**، ص 163.

2. المصدر السابق، ص 164 .

ومن البدهي أن تكون هذه المقاطع أسهل في النطق، إضافة إلى كونها لا تحتاج جهدًا كبيرًا مقارنة مع المقاطع الأخرى، ولأنها تشكل غالبية المقاطع في الفاصلة، فهذا أمر مستحب، لأنها بذلك تسهل على القارئ لكونها آخر كلمة في الآية، إضافة إلى الإيقاع المرن الرقيق الذي تحمله، فهي خفيفة سهلة ليس فيها تعقيد .

ومما يلفت في هذه المقاطع أن النبر جاء على المقطع الأخير بلا استثناء، ومن المعلوم أن المقاطع المنبورة تكون أكثر بروزًا، فالنبر : "نشاط في جميع أعضاء النطق في وقت واحد "[1]، والقاعدة الثانية من قواعد النبر تنص على أن النبر يقع على المقطع الأخير إذا كان مقطعًا طويلًا[2]، وبما أن المقطع المنبور يكون أكثر وضوحًا وبروزًا فإنه يجذب السامع أكثر من غيره من المقاطع، مما يؤدي إلى استقطاب انتباه المتلقي، فيستقر تفكيره عند فاصلة الآية التي تختصر في طياتها معنى الآية في الأعم الأغلب .

ومن يمعن النظر في الكلمات التي جاءت فواصل للآيات الكونية والإنسانية، يدرك أنها جميعًا، جاءت مختومة بواحد من الأحرف الثلاث، النون و الراء و الميم، وهذه أحرف تتمتع بصفات تميزها من غيرها من الحروف .

أمّا النون والميم فصوتان مجهوران يتوسطان بين الشدة والرخاوة، في حال النطق بهما يندفع الهواء، من الرئتين، و قبل أن يصل التجويف الفموي ينخفض أقصى الحنك الأعلى، مما يؤدي على إغلاق التجويف الفموي، و حينها يندفع تيار الهواء عبر التجويف الأنفي، إلا أن هناك فرقًا بسيطاً بينهما، وهو أنه في حال النطق بالنون، يلتقي طرف اللسان بأصول الثنايا العليا، في حين تلتقي الشفتان مع بعضهما عند النطق بالميم . [3]

والنون والميم من الأصوات التي تمتاز بالوضوح السمعي والميوعة والجهر والأنفية [4]، وكل هذه صفات تكسبها مرونة في النطق، و جمالًا في الوقع، مما يؤثر في المتلقي،

---

1. ينظر، أنيس: **الأصوات اللغوية**، ص 171 .

2. المصدر السابق، ص.169

3.. ينظر، السابق، ص 66 ــ67.

4. ينظر، بشر، كمال : **علم اللغة العام الأصوات (القسم الثاني)** . ط2 . القاهرة : دار المعارف 1971 م . ، ص 168.

فأنفيتها تمنحها غنّة ذات إيقاع مميز، ومن هنا نلحظ جمال الفاصلة في الآيات الكونية و الإنسانية، ومدى تأثيرها، مما يجعل لها صدى عميقًا في الذات .

وكلنا نلحظ جمال الغنة في النون، و وقعها العميق، فالنون بالذات " لها غنة في نفسها سواء كانت من الفم أم من الأنف، لأن الغنة صوت من الخيشوم يتبع الحرف، وإن كان خروجه من الفم ".[1]

ويعود السبب وراء الوضوح السمعي لهذه الأصوات، أن تيار الهواء المنتج لها يخرج حرًا طليقًا، دون أن يعترضه عائق، وهو بذلك يشبه الحركات إلا أن الفارق أن تيار الهواء المنتج للحركات يخرج من وسط الفم، في حين يخرج تيار الهواء مع الميم والنون من الأنف [2]، والوضوح السمعي يعد أهم فارق بين الأصوات الساكنة وأصوات اللين، فهو صفة طبيعية لا مكتسبة من طول أو نبرة، فصوت اللين أوضح من الأصوات الساكنة بطبيعته، والميم والنون ومعهما اللام، تعد من أكثر الأصوات وضوحًا في السمع بعد أصوات اللين، لذلك سميت (أشباه أصوات اللين) [3]، ومما يؤكد الوضوح السمعي لهذه الأصوات، أن معظم الفواصل القرآنية جاءت مختومة بواحد منها، وهذا دليل على أنها أوضح في السمع من غيرها، إضافة إلى كونها لا تحتاج جهدًا عضليًا عند النطق بها، كالأصوات الاحتكاكية أو الحلقية أو حتى الانفجارية .

كما أن النون والميم يعدان صوتين رنينيين أنفيين، والصوت الرنيني صوت يهتز عند نطقه واحد من تجاويف الرنين أو أكثر، وهذا الاهتزاز ناتج عن اهتزاز الأوتار الصوتية عند نطق صوت مجهور، وتجاويف الرنين هي : التجويف الحلقي والتجويف الحنجري، والتجويف الأنفي والتجويف الفموي، ولما كان الأنف هو مخرج الميم والنون، فإن الرنين يحدث في التجويف الأنفي . [4]

---

1. القرطبي، عبد الوهاب بن محمد : **الموضح في التجويد** . ط1. تحقيق غانم قدوري الحمد . عمان : دار عمار 2000 م .ص145 .
2. ينظر، بشر، **علم اللغة العام**، ص168 .
3. ينظر أنيس، **الأصوات اللغوية** ص27 .
4. ينظر،الخولي ، محمد : **الأصوات اللغوية** . ط1 ، عمان : دار الفلاح 1986 م .، ص 41ــ 42 .

ومما يضفي إيقاعًا مميزًا على الميم والنون في آخر الفاصلة، وقوعهما مسبوقتين بحــرف مدّ، والأحرف المديّة أحرف تمتاز بالجهر والوضوح السمعي أيضًا[1]، وهي أصوات يمتد معهــا نفَس القارئ وفكره، مما يحقق دلالة المعنى في الذات، فيستشعر القارئ عمق الكلمــة، ويمتــد معناها في داخله امتداد هذه الحروف، فتستريح بها الــنفس، وتطــرب لهــا الجــوارح، يقــول الزركشي : " قد كثر في القرآن الكريم، ختم كلمة المقطع من الفاصلة بحــروف المــد واللــين وإلحاق النون، وحكمته وجود التمكين من التطريب بذلك " [2]، ويؤكد تحقيــق هــذا التطريــب والتجلي قول سيبويه : " أما إذا ترنموا فإنهم يلحقون الألف والواو واليــاء، لأنهــم أرادوا مــد الصوت ". [3]

أما الراء فمن الأصوات التكرارية، والتكرير صفة صوت الراء وهو"" ارتعاد طرف اللسان بالراء"[4]، وهو أيضًا من الأصوات المائعة التي تمتاز بالوضوح السمعي والجهر، وغالبًــا مــا تتصف الصوامت الأنفية ومعها الجانبية والمتذبذبة (ل، م، ن، ر) بالجهر في معظم اللغات[5].

وللراء نغمة خاصة ترتبط بطبيعة هذا الصوت، الذي غالبًا ما يدل علــى التكــرار، وهــذا مرتبط بطريقة نطقه، ولوروده في فاصلة الآيات الكونية والإنسانية دلالات خاصة نتطرق إليهــا في صفحات لاحقة .

---

1. ينظر، بشر : **علم اللغة العام (الأصوات)**، ص 178.
2. **البرهان**، 99/1 .
3. سيبويه، عمرو بن عثمان: **الكتاب**، 4 /204 .
4. ابن أبي طالب ، مكي : **الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة** . تحقيق أحمد حسن فرحات . دار الكتب العربية ، 1973.، ص107.
5. ينظر، بركة، بسام : **الأصوات اللغوية**، ص7، لا ط، لات.

البعد الدلالي للأصوات :

ليست اللغة سوى مجموعة من الأصوات، لكل واحد منها طريقة إنتاج، يسهم فيها أحد أعضاء النطق، ومنذ القدم، ذهب غير عالم إلى وجود علاقة وثيقة بين الصوت ومدلوله، وافترقت الآراء واختلفت وجهات النظر، فهناك من كان يرى عكس ذلك صوابًا، متذرعًا بأن الصوت لا يمكن أن يحمل أي دلالة مهما كانت بسيطة.

والخليل بن أحمد من أوائل الذين ربطوا بين اللفظ ومدلوله، فقد جاء في تهذيب اللغة أن الخليل قال:"صرّ الجندب صريرًا، وصرّ الباب يصرّ، وكل صوت يشبه ذلك فهوصرير إذا امتدّ، فكان فيه تخفيف وترجيع في إعادة، ضوعف كقولك صرصر الأخطب صرصرة" [1]، وجاء في الخصائص :" قال الخليل كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدًّا، فقالوا: صرَّ، و توهموا في صوت البازي تقطيعًا فقالوا : صرصر" [2]

ويربط سيبويه بين الصوت والمعنى، ويظهر ذلك من خلال قوله:" ومن المصادر التي جاءت على مثال واحد، حين تضاربت المعاني قولك: النَّزوان والنَّقزان والقَفَزان، و إنما هذه أشياء في زعزة البدن واهتزازه في ارتفاع،، و مثله العَسَلان والرَّتَكان، ومثل هذا الغليان لأنه زعزعة وتحرك، ومثله الغليان لأنه تجيش نفسه وتثور، ومثله الخَطَران واللّمعان لأن هذا اضطراب وتحرك، ومثل هذا اللّهبان والوَهَجان لأنه تحرك الحَر وتثوره فإنما هو بمنزلة الغليان" [3].

ويجسد معجم (المقاييس في اللغة) لابن فارس تطبيقًا عمليًا لهذه النظرية، فهو يقوم على العلاقة بين الأصوات ومدلولاتها، وابن فارس يؤمن بهذه العلاقة إيمانًا عميقًا، وابن جني أيضًا من أولئك الذين يرون العلاقة بين الصوت ومدلوله مكينة وطيدة، فحين أبدى رأيه فيها قال: "اعلم أن هذا موضع شريف لطيف، وقد نبه عليه الخليل وسيبويه، وتلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته" [4].

1. الأزهري: **تهذيب اللغة:** تح أحمد عبد العليم البردوني، مراجعة علي البجاوي، الدار المصرية للتأليف و الترجمة: باب الصاد والراء (ج12 ص 106).
2. ابن جني 2/.152.
3. سيبويه :**الكتاب** 2/ 218 1317 هـ .
4. ابن جني، أبو الفتح عثمان : **الخصائص**، 2/ 152 .

وقال في موضع آخر إن : "من أسرار الأصوات أن هناك علاقة طبيعية بينها وبين معانيها، ومن ذلك الخاء، والقاف في نحو قولك خضم و قضم، إذ إن الخضم أكـل الرطـب، والقضـم للصلب اليابس، لرخاوة الخاء وصلابة القاف " [1].

أما أسعدعلي: فيتصور أن لكل حرف عربي معنى " فالهمزة على الجوفية ، والباء تدل على بلوغ المعنى في الشيء بلوغًا تامًا، والجيم تدل على العظم مطلقًا، والخاء على المطاوعة والانتشار، والدال على التصلب، والذال على التفرد، والراء على الملكة وشيوع الوصف، والسين على السعة والبسطة، والشين على التفشي بغير نظام، والعين على الخلو الباطن أو على الخلو مطلقًا، والغين تدل على كمال المعنى في الغؤور أو الخفاء، والفاء تدل على المعنى الكنائي، والقاف على المفاجئة التي تحدث صوتًا، والميم تدل على الانجماع، والهاءعلى التلاشي، والواو تدل على الانفعال المؤثر في الظهور، والياء على الانفعال المؤثر في الباطن" [2] ،وهذا الكلام فيما نرى لا يستند إلى أساس علمي متين، ويظل مجرد رأي قابل للنقد، طالما أنه يفتقر إلى الدليل، وربما يصادف اتفاق بعض الأصوات مع ما سبق من معان، لكن ذلك لا يعني أن هذه النظرية علمية تخضع لها حروف اللغة جميعها.

ويرى يحيى جبر أن العلاقة بين اللفظ ومدلوله وثيقة، فلكل لفظ دلالة، ولكل صوت معنى يدلّ عليه، إلا أن هناك بعض الأصوات التي لا تتكشف لنا العلاقة بينها وبين مدلولاتها، لكن ذلك لا ينفي وجود صلة مكينة بينهما، ويقول مؤكدًا ذلك:" لكل صوت دلالة، ولكن دلالات الأصوات المفردة نادرًا ما تظهر في التعامل اللغوي" [3]، ولا يكتفي بهذا القول بل يسرد أمثلة كثيرة منها: دلالة النون في أول الكلمة على ابتداء الحركة، رابطًا بذلك بين مخرج النون الذي هو الأنف ــ كونه مبتدأ عملية التنفس، التي هي أساس بداية حركة الإنسان ــ وبين دلالاتها، ويورد أمثلة على ذلك : نبت، نبش، نبث، نشر، ويرى أيضًا أن هناك بعض الأصول والأصوات التي تحتاج إلى معالجة تأمل، حتى تتكشف العلاقة بينها وبين مدلولاتها، فقد تكون الدلالة معنوية لا يمكن التوصل إليها إلا بالرجوع إلى الدلالة الأصلية، وحينها لا بد من معرفة الظروف التي صاحبت تكون اللفظ .[4]

---

1 **الخصائص** ، 2/ .158

2. علي، أسعد : **تهذيب المقدمة اللغوية** . ط1 . لبنان : دار النعمان 1388هــ أ 1968م . ص 63-64 .

3. جبر، يحيى: **الصوت لفظًا ومعنى** ص1. بحث منشور على موقع جامعة النجاح الوطنية:
An-najah National University, yahya abdul_ raouf Othman

4. ينظر، المصدر السابق، ص5ــ6 .

وعلى النقيض من ذلك، هناك جماعة رفضت هذه النظرية، لأن أصل الدلالة عندهم نظم الكلام، لا نظم الحروف، يقول عبد القاهر الجرجاني :" ومما يجب إحكامه بعقد هذا الفصل ــ نظم الكلام بحسب المعاني ــ الفرق بين قولنا حروف منظومة، وكلم منظومة، وذلك أن نظم الحروف هو تواليها في النطق فقط، وليس نظمها بمقتضى عن معنى، ولا الناظم لها بمقتف في ذلك رسمًا " [1]

أمّا جمهور الأصوليين فلا يرى علاقة واضحة بين اللفظ ومعناه، ويظهر ذلك جليًا من خلال قولهم:" إن اللفظ لو دلّ بالذات لفهم كل واحد كل اللغات، لعدم اختلاف الدلالات الذاتية" [2]، في حين يعدّ الرازي أحد الأصوليين الذي لم ينكروا فكرة العلاقة بين الصوت ومدلوله، إلا أنه يرى أننا يجب أن لا نسرف في تلمس هذه العلاقة، فهناك أصوات قد تحمل دلالة غير ذاتية، كأن يصادف أن يتفق الصوت مع المعنى، لكن هذا لا يعني أن جميع الألفاظ خاضعة لهذه الفكرة[3]، ويعدّ كلام الرازي منطقيًا، بحيث يتعامل المرء مع الحروف بأريحية، بعيدًا عن التكلف، وذلك من خلال استيعابه لمعاني هذه الأصوات وفق ما دلّت عليه، دون التحايل عليها من اجل إخضاعها لفكرة دلالة الحرف على معنى معين يختص به دون سواه.

ويتفق إبراهيم أنيس مع ما جاء به الرازي، فيرى أن التوسط بين الموقفين أفضل، حيث يجب الاعتدال بين الرأيين، فهناك ألفاظ في اللغة يعبر عنها بأصوات خاصة، وهناك أصوات قد لا تدل على المعنى بشكل مباشر[4].

وفيما نرى بعض الأصوات تدل على المعنى بشكل مباشر، حيث تحمل دلالة ذاتية، بمجرد النطق بها، إلا أننا لا نستطيع أن نخضع الأصوات جميعها لهذه النظرية، فليس من المنطقـي أن نحمّل الصوت (الحرف) فوق طاقته، وأن نلبسه ما قد يضيق عنه، لمجرد إخضاعه لنظرية أو رأي، لذلك لا ضير من الأخذ بهذا الرأي مع ما جاء متوافقًا معه من الأصوات، أما مـا كـان مخالفًا فليس بالضرورة أن نتكلف في تعاملنا معه، ونكسبه دلالات ليست له، لكي يوافق آراءنـا وأفكارنا .

---

1. الجرجاني، عبد القاهر، **دلائل الإعجاز**، ص40 .
2. الرازي، **التفسير الكبير**. 12/1.
3. السيوطي، جلال الدين: **المزهر في علوم اللغة و أنواعها**، تحقيق محمد أحمد جاد المولى، وعلي محمدة البجاوي، ومحمد أبي الفضل إبراهيم. دار إحياء العربية. د.ت 47/1.
4. ينظر،أنيس، إبراهيم : **من أسرار اللغة**.ط5. مكتبة الأنجلو المصرية.1975م ص 145 .

وفي هذه الصفحات، ستتناول الباحثة حروفًا تكررت في جملة الخاتمة بشكل لافت ، وكان لها في المقابل دلالات ومعان، إضافة إلى أننا سنعرض لألفاظ تكررت بعينها، في الآيات جميعها، في محاولة للتوصل إلى المغزى من وراء ذلك .

ففي قوله تعالى :{ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ } [1] تستوقفنا (بحة) هـذه الحاءات المتلاحقة، والحاء من الحروف الحلقية، و ذلك يعني أن مخرجها بعيد مـن الشـفتين، فالآية تتحدث عن أوقات (حين و حين) وهذه الأوقات تتناسب مع الفاصل الزمني بـين إنتـاج الحاء، وخروجه من الشفتين، بحكم المسافة بين الحلق والشفاه، إضافة إلى أن هذا الامتداد يتلاءم مع الفعل تسرحون، الذي يدل على مساحة ممتدة امتداد الحاء من الحلق إلى الشفاه، ونلحظ هنـا أيضًا جمال ترتيب الحاء، حيث جاءت مرة في أول الكلمة، ومرة في وسطها(حين، تريحـون)، وتكررت العملية ذاتها في (حين، تسرحون)، وهذا التعاقب شبيه بتعاقب حركة الأنعـام بـين المراح والمرعى .

وفي قوله تعالى :{ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَـرَءُوفٌ رَحِيمٌ }[2] تلفتك هذه الراءات المتتابعة بملامحها التكرارية، مما يجعل المعنى يتكرر في الذهن، و تتدرج دلالاته في العمق، و هذا التكرار يوحي بالاستمرارية، مما يرسخ معنى رأفة الله الدائمـة بنا، ورحمته غير المنقطعة، والتكرار يفيد الحركة والانتقال وجو النص جو انتقـال وحركـة، فالأنعام دائبة الحركة، والظعن والترحال و بلوغ البلاد يحتاج حركة مستمرة أيضًا .

وللراء في قوله تعالى : { وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ***وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ***إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ } [3] إيقاع مميز، تترنم به الآذان والقلوب، و تستطيبه العقول، ولهذا الصوت علاقة وطيدة بالمعنى، فالأنهار في جريان مستمر، تتقلب مياهها، وتدور وتجري، وتعاقب الليل والنهار يتطلب حركة مستمرة منتظمة تتلاءم مع انتظام حركة اللسان عندما يلامس اللثة، أما الإنسـان الجحود فمتقلب بطبعه، ولهذا التقلب حركة تتناسب مع الراء التكرارية .

1. سورة النحل : الآية : 6 .
2. سورة النحل: الآية : 7 .
3. سورة إبراهيم: الآية : 32ــ 34.

ويظهر جمال تعاقب الراءات في قوله تعالى :{ تَبارَكَ الذِي جَعَلَ فِي السّماءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيها سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا**وَهُوَ الذِي جَعَلَ النَّهَارَ خِلْفَة لِمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا} [1]، فكل ما في هذه الآية متحرك لا سكون فيه ولا فتور، فالسماء في حركة تمور، والبروج تدور، والسراج (الشمس) في حركة والقمر كذلك، والنهار مفعم بحراك مستمر وعمل دؤوب، ففيه معاش الناس، وصوت الراء يوحي بالاستمرارية، وبالتالي ذكر الله و شكره على نعمه لا بد أن يكون دائمًا، في كل وقت وحين .

والشين في قوله تعالى: { وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ }[2]، تحمل بعدًا دلاليًا عميقًا، فالتفشي صفة بارزة في هذا الصوت، وهذا يدل دلالة مباشرة على معنى الانتشار، ولصوت الشين في كلمة "بشر" علاقة وثيقة بالمعنى، فالشين تدل على الانتشار والتفشي، والبشر لا يقطنون مكانًا واحدًا، بل يتوزعون في شتى بقاع الأرض .

أمّا قوله تعالى:{ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }[3]،فنلحظ فيه كثرة الحروف المديّة، (آء، لا، لا، لا، زي، كي)، وهذه الحروف المدية يمتد معها النفس، وجو الآية يتحدث عن الجنين وتصويره في الرحم، وبالتالي بقاء الجنين في رحم الأم يحتاج مدة تصل إلى تسعة أشهر، وهذا كله يحتاج إلى مقاطع ممتدة مفتوحة، لتلائم المعنى الذي تنطوي عليه الآية .

وفي قوله تعالى أيضًا : {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}[4]، تستوقفنا الحروف المديّة، فنستشعر امتدادها واتساع المقاطع التي تحتويها، وهذا يوائم المعنى الذي يحمل دلالة مهولة عظيمة لا تستوعبها العقول، فكيف لهؤلاء الجاحدين أن يجعلوا لله ندًا وهم يعلمون، وجاءت أحرف المد في نهاية معظم المقاطع، لأنها تضيق بهذا المعنى المستنكر، الذي تهتز له السماوات والأرض، وأحرف المد في نهاية المقطع تبقيه مفتوحًا، وبالتالي تمتد هذه المقاطع ليمتد معها استنكار هذا الأمر واستعظامه .

---

1. سورة الفرقان: الآية : 61 ـ 62.
2. سورة الروم: الآية : 20.
3. سورة آل عمران: الآية : 6.
4. سورة البقرة: الآية : 22.

وتشي بالمعنى المراد في قوله تعالى :{ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ } [1] هذه النون المتكررة بشكل لافت في جملة الخاتمة، والنون حرف رنيني، ذو غنة يتردد صداها، والرنين في الفراغ يحدث صدى ذا وقع مؤثر، وكلما سكن المحيط علت غنة النون، وكلما هدأ المكان صدح رنينها، وكثرة هذه النونات ـــ المسبوقة بتنوين كسر ـــ وتعاقبها يجعل رنينها وغنتها طاغيين، مما يوحي بالسكون و الفراغ، وهذا السكون شبيه بسكون الليل وهدأته .

وممّا يلفت في قوله تعالى: { يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ }[2] ورود الميم في جملة الخاتمة بكثرة، وهذا فيما نرى له دلالة وبعد، فالآية تتحدث عن معجزات الله الخارقة، وجملة الخاتمة تصور لنا مدى ضعف الذين يُدعون من دون الله، والميم كما هو معلوم، صوت تنطبق معه الشفاه انطباقًا تامًا، وهذا يلائم حالة العجز التي تلازم الذين يظنون أنفسهم شركاء لله، وبالتالي فإن انطباق الشفاه يناسب نتيجة مفروغاً منها نهايتها مغلقة انغلاق هذه الشفاه ليس لها امتداد ولا صدى، فالألوهية لا ينبغي أن تكون لغير الله، وقصر ذات اليد والضعف والاستكانة من صفات الذين يدّعون الألوهية، ونحن بذلك أمام أمر انتهى قبل أن يبدأ، إضافة إلى أن رسم الميم الدائري يشعرنا بأننا ندور في حلقة مفرغة جوفاء فارهة، وكذلك هو الإشراك بالله شيء فارغ لا طائل منه ولا فائدة ترجى، فهو أمر نتيجته معروفة والجدل فيه مصيره الإخفاق .

ولن نقف عند حروف تكررت في قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ** وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ** وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }[3] ـــ فكان لها بعد و عمق، وإنما سنقف عند كلمات

1. سورة القصص: الآية : 72.
2. سورة فاطر: الآية : 13.
3. سورة الأنعام: الآية : 97ـــ99 .

تكررت، فكانت ذات أثر عظيم، ووقع حسن، ففي جملة الخاتمة من الآيات الـثلاث تكـررت (آيات، قوم)، مما أكسب النص إيقاعًا جميلًا يشعر القارئ بمدى التلاحم و التـرابط بـين هـذه الآيات، و كأنه أمام آية واحدة متعددة الأوجه، أو صورة واحدة مختلفة الأشكال، فهذا التكـرار يتناسب مع المعنى فكل آية تخاطب فئة، فهذه تخاطب الذين يفقهـون، وتلـك تخاطـب الـذين يعلمون، وثالثة للذين يؤمنون، وبذلك تكررت (قوم) مع ثلاث فئات إذا جُمعـت شـكلت معظـم المجتمع البشري، ومن هنا لم تكن الألفاظ المتكررة من قبيل الحشوـ حاشى لله ـ وإنما تناسبت مع المعنى المراد، وتلاءمت مع المغزى الذي تحمله كل آية.

وفي نهاية هذا الفصل نخلص إلى أن الجانب الصوتي، من الجوانب التي يجب أن نوليها عناية كبيرة، كغيره من الجوانب اللغوية الأخرى، فهو لا يقل عنها أهمية، بل إنه يكشـف لنـا جماليات لغتنا، ويحفز العقل على التفكير والتحليل والربط والتعامل مع اللغة بحيوية، بعيدًا عـن الجمود، وهو كذلك يفتح المدارك ويوسع الآفاق، ويحض المرء علـى التفكيـر فـي مـا وراء الصوت و الكلمة والمقطع .

الخاتمة

وفي الختام ، وبعد زمن من العناء والجهد والبحث والمداولة لا بد من الاشارة إلى النتائج التي توصل إليها البحث :.

على المستوى التركيبي، هناك عدة نتائج أهمها :-

1- مراوحة الخطاب بين الجمل الاسمية والفعلية، وذلك فيما يتناسب مع ما يتطلبه السياق ويقتضيه المعنى .

2- كثرة الأفعال المضارعة في خاتمة الآيات الكونية والإنسانية وذلك لأن هذه الآيات تعد مظاهر حاضرة بارزة في كل زمان، فهي ليست أحداثًا مضت وانقضت، بل مشاهد ترقبها العين في كل حين، لذلك كان لابد من استخدام الأفعال المضارعة لما تحمله من دلالة على التجدد والاستمرار .

3- قلة أفعال الأمر في خاتمة الآيات، وقد يكون السبب في ذلك أن مضمون الآيات لايرتكز على تشريعات وأحكام، فالغاية من ورائها الاهتداء الى الله تعالى .

4- تكرار الجمل الاسمية المنسوخة بالحرف، لاسيما تلك المؤكدة (بأن)، واللافت أن معظم أخبار إنّ جاءت مقترنة باللام المزحلقة، فكانت هذه الجمل من قبيل الخبر الإنكاري ، وربما يكون السبب في ذلك أن بلادة الالفة ذهبت بجمال هذه المشاهدات في أعيننا، ممّا صرفنا عن التفكر فيها وتأمل تفاصيلها، لذلك جاء الخبر مؤكدًا بمؤكدين، بغية تنبيهنا وتذكيرنا بما تحمله هذه المظاهر من دلالات .

5-كثرة الجمل الاستفهامية في خاتمة الآيات، وخروج الاستفهام فيها عن معناه الاصلي، ليفيد معاني بلاغية أهمها الاستنكار والتوبيخ والتعجب .

6- هناك بعض الجمل الاسمية التي كانت تحمل صورة واحدة، ما خلا فاصلة الآيــة "إن فــي ذلك لايات لقوم ...."، وتكرار هذه الجملة غير مرة فيه تأكيد واضح على أهمية هذه المظــاهر، فهي آيات وعبر لمن تبصر ونظر، وعلى الرغم من تكرار هذه الجمل بعينها إلا أن فاصلة الآية هي ما يعطي بعدًا دلاليًا مختلفًا عن الأخرى .

المستوى الصوتي :-

1- للمقاطع الصوتية في خاتمة الآيات الكونية والإنسانية- في الأعم الأغلب – علاقــة وثيقــة بمعنى الآية، وذلك من خلال دراسة الألفاظ من حيث عدد المقاطع المكونه لها، وطبيعــة هــذه المقاطع مفتوحه كانت أم مغلقه، ساكنة أم متحركة، ودلالة ذلك كلّه .

2- للفاصلة في خاتمة الآيات الكونية والإنسانية جرس عذب، وجمال يمتد أثره في الذات زمنًا، وذلك لما تشتمل عليه الفواصل من أصوات ترتاح لها النفس، ويطمئن لها البال، وتســكن لهــا الجوارح، إضافة الى تنوعها بين المتوازي والمطرف والمتوازن .

3- لتكرار بعض الأصوات في جملة الخاتمة بعد دلالي، ينسجم مع المعنى العام للاية تارة ، ومع دلالة اللفظ مرة أخرى .

هذه كانت أبرز النتائج التي توصل اليها هذا البحث، وأسأل الله العلي القدير أن أكــون قــد وفقت في الكشف عن بعض الجوانب الجماليه في الآيات الكونيه والإنسانيه ، وقد بذلت جهــدي ما أستطعت معتمدة على ما تمليه علي قريحتي وما يسعفني به استيعابي للنص القرآني .

والحمد لله رب العالمين .

جدول لصيغ الخواتيم الأكثر تكرارًا في خاتمة الآيات الكونية والإنسانية :

رقم	الآية	عدد المرات	السورة	رقم الآية
1	"وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ	5	الجاثية الروم القصص النحل	12 46 73 14 78
2	"إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ	4	النحل النمل الروم الزمر	79 86 37 52
3	إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ	4	الرعد الروم الزمر الجاثية	3 21 42 13
4	ولَعَلَّكـــُمْ تَعْقِلُونَ"	3	غافر الحديد البقرة	67 17 73
5	إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ""	3	غافر الجاثية	57 26
6	ِإنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ"	2	الرعد النحل الروم	4 12 24
7	إنه على كل شيء قدير"	2	الاحقاف فصلت	33 39
8	إن الله على كل شيء قدير	2	النور العنكبوت	45 20

35	يس	2	""أَفَلَا يَشْكُرُونَ"	9
31 33	لقمان الشورى	2	إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ"	10
11 69،	النحل	2	إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ"	11
24 7	غافر الجاثية	2	ولكن أكثر الناس لَا يعلمون"	12
72 21	الشعراء الدخان	2	أَفَلَا تُبْصِرُونَ	13
67 23	يونس الروم	2	إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ	14
38 96	يس الأنعام	2	ذلك تقدير العزيز العليم	15
50 2	الروم الحديد	2	وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"	16
29 3	. البقرة الحديد		و هو بكل شيء عليم "	17
13 60	الأنعام العنكبوت	2	وهو السميـــع العليم"	18

المصادر والمراجع

* **القرآن الكريم** .

* إخوان الصفا : **رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء** . بيروت : دار صادر ، د.ت .

* ابن الأثير، ضياء الدين : **المثل السائر في أدب الكاتب والناثر** . ط1، تح أحمد الحوفي

و بدوي طبانة. القاهرة. مطبعة نهضة مصر. 1959م.

*الأزهري:محمد بن أحمد الهروي: **تهذيب اللغة:** تح أحمد عبد العليم البردوني، مراجعة علي البجاوي، الدار المصرية للتأليف و الترجمة.

* الأنطاكي، محمد : **المحيط في أصوات العربية ونحوها و صرفها** . ط1، 1972 م .

* أنيس، إبراهيم :

: **الأصوات اللغوية** . ط5 . دار الطباعة الحديثة 1979 م .

: **دلالة الألفاظ.** ط3. مكتبة الأنجلو المصرية،1976م.

: **من أسرار اللغة** . ط5، مكتبة الأنجلو المصرية، 1975 م .

: **موسيقى الشعر** . ط 4 ، بيروت : دار القلم 1972 م .

* بازمول، محمد : **علم المناسبات في السور و الآيات** . ط1، المكتبة المكية 2002 .

* الباقلاني، أبو بكر محمد: **إعجاز القرآن**، ط2، مصر: دار المعارف، د. ت.

* بدوي، أحمد: **من بلاغة القرآن** . ط3، ا لفجالة : مكتبة نهضة مصر د. ت .

* بركة، بسام : **الأصوات اللغوية،** ص7، د. ط، د.ت .

* بشر، كمال : **علم اللغة العام الأصوات** (القسم الثاني) . ط2 . القاهرة : دار المعارف 1971 م .

* البقاعي ، إبراهيم بن عمر : **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** . تح عبد الرزاق

غالب المهدي . بيروت : دار الكتب العلمية 1995 م د. ت .

* البيهقي ، أحمد بن الحسين : **الأسماء والصفات** . بيروت : دار الكتب العلمية د. ت .

*.جبر، يحيى: نحو دراسات وأبعاد لغوية جديدة، لا ط، نابلس.

* الجرجاني، عبد القاهر عبد الرحمن: **دلائل الإعجاز،** قرأه و علق عليه: محمود محمد

شاكر، ط5، القاهرة: الشركة الدولية للطباعة 1424هـ ، 2004م .

* ابن جني ، أبو الفتح عثمان : **الخصائص** . ط 2 ، تح محمد علي النجار ، بيروت :

دار الهدى للطباعة والنشر 1913 م .

* الجوزية، ابن قيم : **الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان** . بيروت : دار الكتب

العلمية د.ت . حسان ، تمام : **اللغة العربية معناها و مبناها** . مطابع الهيئة العامة للكتاب، 1973 م .

- حسن، عباس: **النحو الوافي** .ط2، القاهرة : دار المعارف، 1963م .

* خالد ، عمرو : **عبادات التفكر** ،ط1 ، بيروت ــ لبنان : مطبعة المتوسط 2004 م .

*الخطابي . **بيان إعجاز القرآن** ،شرح: عبد الله الصديق، ط ،1.دار التأليف بمصر. 1953.

* الخولي ، محمد : **الأصوات اللغوية** . ط1 ، عمان : دار الفلاح 1986 م .

* الرازي، فخر الدين محمد بن عمر : **التفسير الكبير للرازي** . ط2 ، طهران: دار الكتب العلمية د. ت

* أبو رية ، محمود : **المختار من كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري** . مراجعة عباس حسن خضر . مصر : مطابع دار الكتاب العربي د. ت.

* الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله: **البرهان في علوم القرآن** . ط1، دار إحياء الكتب العربية بمصر 1957 _1958 .

* الزجاجي ، أبو القاسم عبد الرحمن : **الجمل** . تح ابن شنب . باريس د. ت.

* الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر : **المفصل** ، الطبعة المصرية د. ت .

* ابن السراج: محمد بن سهل: **الأصول في النحو** . ط3، تح عبد الحسين الفتلي، بيروت : مؤسسة الرسالة، 1996م .

* سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان : **الكتاب** . تح أميل بديع يعقوب، بيروت : دار الكتب العلمية : **الكتاب**. تح عبد السلام هارون، بيروت : دار الكتاب العربي للطباعة و النشر.

* السيوطي، جلال الدين:
:**الإتقان في علوم القرآن** . المكتبة الثقافية ، بيروت 1973 .

: **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع** . تحقيق عبد العالم سالم

مكرم، الكويت : دار البحوث 1979م .

* الشعراوي ، محمد متولي : **تفسير الشعراوي** . مطابع أخبار اليوم التجارية . د. ت .

* ابن أبي طالب ، مكي : **الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة** . تح أحمد حسن

فرحات . دار الكتب العربية ، 1973 .

* أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم : **ديوان أبو العتاهية** . تح شكري فيصل . دمشق :

دار الملاح للطباعة والنشر 1991 م .

* عرجون، محمد الصادق: **القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين** . دار الاتحاد

العربي للطباعة 1996 م .

*عشراتي ،سليمان: **الخطاب القرآني**" مقاربة توصيفية لجماليات السرد الإعجازي "د.ط.. –
الجزائر، د.ت .

* ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله : **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك** . ط2، تح محمد

محيي الدين عبد الحميد ، بيروت، دار الفكر، 1985م .

* العلوي، يحيى بن حمزة بن علي : **كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة و علوم حقائق**

الإعجاز. مؤسسة النصر، طهران، د.ط د. ت .

* ابن فارس ، أحمد : **مقاييس اللغة** . ط1 ، تح عبد السلام محمد هارون . طهران : دار

إحياء الكتب العلمية 1396 هـ

* فودة، عبد العزيز السيد : **أساليب الاستفهام في القرآن** . د.ط د. ت .

* الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: **القاموس المحيط،** 4مج،بيروت: دار الجيل، د.ت.

* القرطبي، عبد الوهاب بن محمد : **الموضح في التجويد** . ط1. تح غانم قدوري الحمد .

عمان : دار عمار 2000 م .

* القرطبي ، محمد بن أحمد : **الجامع لأحكام القرآن** . ط3 . دار الكاتب العربي للطباعة

والنشر ،1387 هـ 1967 م .

* القزويني، جلال الدين

: **الإيضاح في علوم البلاغة.** تح محمد عبد المنعم خفاجي، ط3، القاهرة
المكتبة الأزهرية للتراث، 1413 هـ ــ 1993م .

: **شرح التلخيص في علوم البلاغة.** ، شرحه وخرّج شواهده: محمد
هاشم دويدري، دمشق ; منشورات دار الحكمة 1970م.

* قطب ، سيد :

: **التصوير الفني في القرآن** . ط3 ، دار الشروق :لمكتب الإسلامي . 1410

في ظلال القرآن . ط9 ، بيروت : دار الشروق 1980 م .

* كشّاش، محمد : **اللغة والحواس** . ط1. صيدا بيروت : المكتبة العصرية 2001 .

* كشك، أحمد : **من وظائف الصوت اللغوي محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي**، ط1، دار السلام : مطبعة المدينة، 1983م .

* الكوسة ، عماد : **الإنسان بين النشأة والبعث** ، ط1 ، سورية ــ حلب : دار عبد المنعم للطباعة ، 2004م .

* لاشين ، عبد الفتاح : **المعاني في ضوء اساليب القرآن الكريم** . ط4 . القاهرة : دار الفكر العربي 2003 .

* المخزومي ، مهدي : **في النحو العربي نقد وتوجيه** . ط1 . بيروت : منشورات المكتبة العصرية 1964 م .

* مطلوب، أحمد : **أساليب بلاغية الفصاحة ــ البلاغة _ المعاني . ط1، 1980م،**

* ابن المعتز ، عبد الله : **البديع** . تح كراتشكوفيسكي . بغداد : مكتبة المثنى د. ت .

* ابن منظور : **لسان العرب** . بيروت : دار لسان العرب ، إعداد وتصنيف : يوسف الخياط . د.ط د. ت .

* ابن هشام، جمال الدين : **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب** . تح محمد محيي الدين عبد الحميد ط9 . مطبعة السعادة، 1382 هـ ــ 1963م،.

: **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، ط5، بيروت ــ لبنان : دار إحياء التراث العربي،1966م .

: **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تح محيي الدين عبد الحميد، بيروت دار الكتاب العربي.

- هلال، محمد غنيمي: **النقد الأدبي الحديث** . ط4، القاهرة : دار النهضة العربية، 1969م

* رسائل الماجستير:

السامرائي، إبراهيم: الأساليب الإنشائية في العربية النمط والاستعمال، جامعة اليرموك، آب 1987م.

* المواقع الإلكترونية:

جبر، يحيى:

الحركة والحياة، بحث متوفر على موقع جامعة النجاح الوطنية:

وللأصوات أرواح،بحث متوفر على موقع جامعة النجاح الوطنية .

http://blogs.najah.edu/staff/yahya-jaber/article/article

An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies

Conclusions in Human and Cosmic Verses in The Holy Quran Methodology

By
Noor Hani Mohammad Samhan

Supervisor
Prof. Yahya Jaber

Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Arts in Arabic Language and Literature, at An-Najah National University, Nablus, Palestine.
2009

Conclusions in Human and Cosmic Verses in The Holy Quran Methodology

By

Noor Hani Mohammad Samhan

Supervisor

Prof. Yahya Jaber

Abstract

This study regarded a methodology for conclusions in human and cosmi Verses in the Holy Quran. The scholar looked into these verses Semantically in attempt to examine the relationship between the connotations of these sentences and its composite semantics . In addition to the general meaning of concluded sentences . This study illustrated the most important patterns which occurred in conclusion sentence and the most important methodological phenomena included . Finally this study displayed the phonetic structure of the conclusions and Its relation to meaning.